الجزء الخامس　　جمادى الاولى ١٣٢١　　السنة الرابعة



الهداية

مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

تصدر

في آخر كل شهر قمرى

٦٠ قرشا عثمانيا فى بلاد الدولة العثمانية و ٦٠ قرشا مسريا فى القطر المصرى والسودان

١٥,٥ فرانكا فى افريقية الغربية و١٣ شلنا فى الهند و٧ روابل فى الروسيا

ثمن النسخة خمسة قروش

عنوانها :

استانبول : صندوق البوسته العمومية نمرة ١٢٧

الى حضرات المشتركين

ادارة الهداية يرجو حضرات الافاضل المشتركين فيها ان يقدموا بدلات الاشتراك لاسيما وقد اوشك يصدر منها العدد الثامن. ونكرر لحضراتهم الرجاء ان يتفضلوا فيرسلوا ماسيكون ضامنا لاستمرار ظهور المجلة فى مواعيدها واوقاتها

(سبيل الرشاد)

هى المجلة الاسلامية الدينية العلمية الادبية السياسية التى تصدر اسبوعية فى عاصمة الخلافة لصاحبها ومديرها المسئول ذلك المفضال اشرف اديب بك ويقوم بتحرير ابحاثها النابغون من المحررين العثمانيين ومواضعها غالباً تفسير القرآن الكريم والخطب والمواعظ والفلسفة والآداب ونشر مكاتيب مخابريها فى اغلب الاقطار ومباحث تتناول الاحوال الحاضرة السياسيه وبحث فى التاريخ والفلسفة وتباع فى ادارتها رقم ٢٣ — ٢٦ بخان اورخان بك بجادة الباب العالى .

الهلال والصليب — العالم الاسلامى

كتابان جليلان كنا نوهنا بقدرهما فى اعدادنا الماضية وفصلنا مواضيعهما ولذا اكتفينا هنا بذكرهما مع بيان ان ثمن الاول ١٠ والثانى ٥ قروش ويطلبان من ادارة الهلال العثمانى التى هى ادارة المجلة امام الباب العالى .

تطلب المجلة من ادارتها وبائعها السيد صالح عيسى رقم ٥٩ فى كتبه مايزيد ومن وكيلها العام فى القصر المصرى احمد افندى ابراهيم القويضى التاجر بالجمرك القديم بالاسكندرية .

الجزء الخامس السنة الرابعة



الهداية

—.(تصدو فى الاستانة . جمادى الاول سنة ١٣٣١).—

اسرار القرآن

(١)

الحافظ وكذا كتب لابى بكر عمرو بن حزم (ان انظر ما كان من حديث الرسول او سننه او حديث عمر او نحو هذا فاكتبه لى فانى خفت درس العلم وذهاب العلماء) اذا علمت ذلك ادركت ان الحديث لم يدون الا بعد مضى نحو مائة سنة من الهجرة النبوية وما كانت السنة قبل ذلك العهد الا ما كان يتناقله الاجيال شفاها ويتناوله الخلف عن السلف. فكيف لشئ من ذلك ان يبلغ منزلة القرآن الذى كان محفوظا فى الصدور مدونا فى المصاحف منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين لاسيما وليس من تلك الاحاديث ما روى متواترا سوى القليل النادر

ومما بنى عليه المتغالون فى تجويز القول بالنسخ دون تحرج ولا تقيد قوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت) وقد اوضحنا هذه الآية فى رسالة الاسلام دين الفطرة بمالم يبق معه شائبة غموض . ولقد يجمل

(١) هذا متمم لتفسير ماجاء فى صدر العدد الرابع من الآيات الكريمة

بنا هنا ان نقتبس ماجاء لنا فى تلك الرسالة فدونك نصه

ولعلك تتطلع نفسك الى تفهم معنى المحو والاثبات هنا فنقول قبل ان نحقق لك معناها نذكر الآية بتمامها ليتجلى لك معناها .

قال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية . وماكان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله . لكل أجل كتاب . يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) انقسم اهل الكتاب على النبي (ص) فنهم احزاب كانوا يفرحون بما انزل عليه من الاحكام . وكان فريق يستقبح ماكان يفعله المصطفى (ص) من التزوج والاكل والشرب ونحوها من اعمال الدنيا (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق)

وكانوا كلما سألوا الرسول شيئا من الآيات الخارقة للعادة كاغاضة المياه ونقل الجبال واحياء الموتى لا يجيبهم الى شئ من مطالبهم واقتراحاتهم كما قدمنا فكانوا لذلك يستضعفونه وينزلون من شأنه ويعتبرونه عاجزا لا ينبغى له ان يدعى النبوة فرد الله على أولئك القوم وبين لهم ان تلك الاشياء لا تنافى الرسالة فى شئ فقال (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ـ كآدم وابراهيم وموسى وداود ـ وجعلنا لهم ازواجا وذرية) ثم بين ان التصرف فى الكون والاتيان بخوارق العادات ليس الا لله تعالى فقال (وماكان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) الذى هو خالق كل شئ فهو الذى يمحو مايشاء محوه ويثبت مايشاء اثباته طبقا لما سبق فى علمه القديم كما يدل عليه قوله (وعنده ام الكتاب) اذ معنى ام الكتاب اصله واصله هو العلم القديم الذى لا تتعلق قدرة ولا ارادة بشئ

الا طبقا له »

وبالجملة انه لم يقصد من قوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت الا مجرد تاكيد ما استفيد من قوله قبل ذلك (وماكان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) اهـ .

ومما اسلفنا هنا يتبين لك انه لا علاقة بين هذه الآية وبين نسخ الاحكام اصلا .

والخلاصة

(١) ان النسخ معناه الغاء بعض الاحكام العملية غير المؤبده

(٢) ان النسخ جائز عقلا ثابت فعلا تقتضيه الحكمة والمصلحة

(٣) ان التوراة والانجيل تطرق اليهما النسخ من طريق القرآن الكريم بل وباحكام الحواريين وماهى بالاحكام الالهيه . وكذلك قد نسخ الانجيل بعض احكام التوراة

(٤) ان القرآن لم ينسخ من احكامه سوى القليل جدا كما بسطناه فى تعليقاتنا على الايات التى استمسك بها القائلون بالنسخ

(٥) ان القول بجواز نسخ القرآن تلاوة لا حكما قول من لا يفقهون

(٦) ان تجويز ان يكون بعض آى القرآن نسخ اعتمادا على مجرد ماروى من الاحاديث بالغة فى الصحة مابلغت قول المسرفين على انفسهم الجانين على قرآنهم ودينهم وهم لا يشعرون .

هذا مجمل قولنا فى النسخ فليتدبره المنصفون (١)

(١) اننا نتقبل من طلاب العلم المنصفين كل ما يقدمون لنا من المناقشة مما لايخرج عن دائرة المعقولات ولا يتجاوز حدود آداب البحث

هذا ولنرجع بك الى تفسير الآيات الكريمة فنقول قد قص الله علينا فيما يقص من انباء اهل الكتاب ان كثيرا منهم ودوا لو استطاعوا ان يردوا المسلمين عن دينهم لا لانهم يجهلون معنى الاسلام ولا لانهم التبس الامر عليهم فلم يفرقوا بين الحق والباطل فقد تبين لهم الحق واضحا وفقهوا ماجاء به الاسلام من الكمال والهداية الى سعادتى الدارين. ولكنهم كانوا اهل الكتاب والدرس ومصدر الحكمة والرأى فعز عليهم ان يقتفوا اثر رجل عرف قبل البعثة بالجهل والامية حسدا من عند انفسهم وحرصا على ما احرزوه من الجاه والمكانة بين العرب ان يسوى الاسلام بينهم وبين غيرهم فلا يمتازوا اذا عن احد سواهم الا بالعافية والتقوى

صدفهم عن المسلمين رغبتهم ان تزول نعمة الله وهى الاسلام عن هؤلاء الموحدين. ولكم بيتوا ودبروا وتآمروا ولكن القرآن الكريم كان يكشف مستور مكرهم فوقى الاسلام والمسلمين شر كيدهم.

وقد امر المسلمون بآية (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره) ان يقابلوا اذاهم بالعفو وكيدهم بالصفح حتى يأتى الله بامره وقضائه الفصل فيهم وما كان ليعجزه يوما ما امرهم وهو القدير على كل شئ

ومن عرف ما يأتى الحاسدون من ضروب المكايد وصنوف الاذى فهم اجمالا مبلغ ما كان يفعل اهل الكتاب مع المسلمين ورسولهم الامين صلوات الله عليه بعد اذ اخذ الحسد بمجامع قلوبهم وضاعف الحقد غلة

صدورهم. وكتب السير والتاريخ مملوءة بالحوادث والعبر والامثال الشارحة لذلك. ومن شاء فبين ايدينا من نتائج الحسد وسيئاته الشئ الكثير.

اذا كان الحاسد هو الذى يتمنى ان تزول النعمة عن غيره فماذا عسى ان يكون حال الحاسد وماذا عسى ان يفعل؛

يكره الحاسد ان يتقلب محسوده فى شئ من نعم الله تعالى فاذا رآه وجيها او ذا مال اومشهورا بعلم او فضل حرق انيابه عليه غيظا وحقدا! فلا يرضى حتى يزول عن المحسود ماهو فيه من بركة وخير.

ومن الجلى ان مبعث اعمال الجوارح هو ما يقوم بالنفس من الانفعالات والاهتياجات. فاذا اهتاجت النفس بداع من دواعى السرور او الحزن او الارتياح او الغضب فان تلك السورة النفسية قد تدفع الجوارح والاعضاء الى اكتساب ما ترغب فيه تلك النفس المنفعله ولا يقعد بالانسان المنفعلة نفسه عن اجابة مطالب حركة مجموعته العصبية الا احد امرين اما التفكر فى عواقب ما يجترحه او الايقان بادئ الرأى بعجزه عن شفاء نفسه وارضاء شهوة غضبه.

فاذا كان الانسان عصبي المزاج سريع التأثر كانت حالته العصبية هذه خليقة ان تدفعه الى استخدام جوارحه فيما يقتضيه اهتياج نفسه وسورتها قبل ان يجد عقله الزمن الكافى للتفكر وزنة ما يأتيه من الاعمال. ولهذا نجد سراع الرضا سراع الغضب سراع الندم سراع كل حركة تقريبا. ذلك لان الانسان بمقدار تنبه مجموعته العصبية وحركتها تكون حركة جوارحه

وسرعة اعماله. فما الجوارح والاعضاء الا مظاهر تلك الآثار التى تقوم بالنفس متولدة من تلك الانفعالات والاهتياجات. ولهذا كان لابد من التسامح واللين فى معاملة اصحاب الامزجة العصبية الذين قد تبدر منهم البوادر القولية اوالعملية غيرمقرونة بالارادة والاختيار ولا مسبوقة بالتفكر والاعتبار. ومن هنا كان طلاق الاغلاق الذى ينطق به الانسان فى غضب مطبق لايقع شرعا.

ولنرجع الى الكلام فيما كنا بصدده فنقول ان الحاسد كلما رأى المحسود فى شئ من العيش الرغد اوالمنزلة العالية مثلا تأكل صدره عليه حقدا وغلا. وكيما تتخلص نفس الحاسد من آلامها وسورة نكدها تدفع الجوارح والاعضاء الى عمل كل مامن شأنه ايقاع الاذى بالمحسود وتجريده من الحلة والميزة التى كانت مبعث نكده وآلامه.

فاذا كان مبعث الحسد ماللمحسود من الشهرة و نباهة الذكر يأخذ الحاسد يشهر بالمحسود ويخلق له من السوءات والمثالب مايحاول به اطفاء نوره وطمس آثاره. ولقد يتوهم بعض الحساد نباهة شأن بعض الناس وانتشار آثار فضلهم فى الافاق على انهم لم يكونوا فى الواقع كذلك فيدفعه حسده الى الخوض فى امرهم ونشر المفتريات عليهم ومحاولة هدم رفيع ذكرهم الموهوم فينبه اليهم بذلك الافكار وينشر ذكرهم فى كل مكان وبذلك ينفعهم من حيث اراد ايذاءهم ويرفعهم من حيث يريد تنكيرهم ومن هذا المعنى قول الشاعر.

واذا اراد الله نشر فضيلة بياض طويت اتاح لها لسان حسود

وقد يكون مبعث الحسد ماللمحسود من المال الموفور والضيع والعقار مظاهر النعيم والترف فهنالك لاتهدأ نفس الحاسد ولا تقر عينه حتى ويصبح المحسود فقيرا مهينا.

وقد علمنا مما اسلفنا ان الجوارح خاضعة منقادة لحكم الانفعالات النفسية فاذا كانت قرة عين الحاسد ان يرى محسوده مسلوب النعمة التى يتقلب فيها فانه بالطبع لايفتأ يأتى من المكايد والدسائس ما يبلغه غايته التى يرمى اليها ابتغاء تخليص نفسه من عذاب حقدها وآلام حسدها.

ولا يخفى على البصير ان منشأ اكثر ماتراه من المكايد التى يدبرها الناس بعضهم لبعض انما هو الحسد الذى تحمله صدورهم بعضهم لبعض.

ومن آثار الحسد على الثراء والنعيم مايرى بين الفلاحين والزراع واصحاب الحقول والبساتين من المكايد فان الحسد هو مصدر ماتراه من قتل البهائم واقتلاع النجوم والاشجار واحراق الجرائن وتصيد بعض الاغنياء غيلة. وكذلك هومصدر ماتراه من التزوير والاحتيال والتلفيق والمخاصمات الى نحو هذا مما يفعله الحاسد لالغرض سوى حرمان المحسود من النعيم وايرائه من غناه فقرا ومن راحته عناء ومن مجده ذلة ومسكنه.

ومن مظاهر الحسد ايضا ما يشاهد بين خدام الحكومات وحواشى السلاطين والامراء فان الحاسد قديدفعه وجده على المحسود الى التنقيب عن سؤاته وتأثر حركاته وسكناته فلايقر له قرار حتى يجد له اويفترى عليه ماينزله عن مرتبته ويقطع به اسباب الرقى والرفعه. وكم رأينا فى دواوين

الحكومات من امثال هؤلاء من لا يطيب لهم عيش ولا تطمئن لهم نفس حتى يجدوا لمحسوديهم من النقائص والمثالب معاول يهدمون بها آمال هؤلاء ومدى يقطعون بها حبال رجائهم .

وبالجملة ان اكثر ما نراه فى الدنيا من المكايد والشرور والمخاصمات والنوازل المحزنة انما مصدره الحسد . فالحسد كما ترى مصدر للكبائر والآثام والجرائم. والحاسد خليق ان يستعاذ منه وان يسأل الله العافية من كيده وشره . وهذا هو سر ما جاء فى سورة الفلق من أمر الله تعالى الرسول (ص) ان يستعيذ به (من شر حاسد اذا حسد) فقد علمت مما ضربنا لك من الامثال ما يفعل الحاسد بالمحسود وما يجلب له من الضرر والاذى .

اما أثر الحسد فى صاحبه فيكفى منه ما يصيبه من النكد والالم وضيق الصدر كلما ابصر او ذكر ما للمحسود من النعمة. فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

وحسب الحاسد مقتا وغضبا انه غير راض عما قسم الله لعباده ناقم من الله تعالى اختصاصه من شاء بما شاء من فيض احسانه (أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فحسد الحاسد انما هو اعتراض على الله فى تصرفه فى ملكه وتقسيمه لرحمته

ثم ان الحاسد فوق هذا كله ثقيل المجلس ممقوت الطلعة يستقبله الناس بنفوس متقززه. وصدور منقبضه .

وخلاصة القول ان الحاسد ممقوت عند الله ممقوت عند الناس

كثير الحزن والنكد كثير الشقاء والنصب

(العلاج) على من يبتلى والعياذ بالله بهذا المرض البشع ان يعتقد ان الاولى له ان يريح ويرتاح . واذا كان كل همه مما يجلبه على المحسود من الشرور والمضار ان يريح نفسه من الآلام التى ينتجها التفكر فيما فيه المحسود من النعمة وان يبتهج بان يراه يوما ما دونه منزلة ونعمة فلم لا يلتمس ابتهاج نفسه وانتعاشها بالتفوق على المحسود من طريق اخرى تكون اقل عناء واوكد نجاحا واسلم عاقبة وابعد عن الشر والاضرار بالغير. او ما كان خير للحاسد ان يتفوق على المحسود لا بمحاولة الهبوط به الى حيث منزلة الحاسد السافلة ولكن بصعود هذا الحاسد الى ما فوق منزلة المحسود مالا او علما او جاها ؟ فاذا كان منشأ الحسد شغل المحسود لمنزلة رفيعة فليجتهد الحاسد فى ترويض نفسه وتهذيبها وتزويدها بما يؤهلها لبلوغ تلك المنزلة او تجاوزها

واذا كان مبعثه شهرة المحسود بالعلم والفضل فليكثر الحاسد من التحصيل والدرس والتنقيب والبحث حتى يحصل من العلم والفضل على ما يبرز فيه على محسوده

وان تولد الحسد مما للمحسود من المال الكثير والثروة الواسعة فليختر صناعة او حرفة ثم ليتقنها جد الاتقان فهنالك تدنو الدنيا منه خاضعة منقادة فليجمع منها اذ ذاك ما يشاء.

اذ ليس من الصعب على الحاسد ان يتزيد من الصفات التى وجدت نفسه على المحسود من اجلها .

والخلاصة انه يجب على من اصيب بهذا المرض الممقوت ان يريح نفسه من عناء التفكر فى نعمة المحسود وان يكفى المحسود شر ما يدبر له من المكايد وان يكفى هو نفسه سوء السمعة واثم ايذاء الغير . فاذا اتبع ما اسلفنا من النصائح فانه سعيش موفور العرض متنعش النفس متفوقا على محسوده بما يحرز من المزايا والفضائل.

فعلاج الانسان ما قد يصاب به من ذلك المرض على النحو الذى شرحناه يرفع من شأنه ويقوم من اعوجاجه ويهذب من نفسه ويحول بينه وبين ايقاع الاذى بغيره . اما اذا استهوته وساوس صدره ورضى بحالته المقبوحة السافلة واكتفى بان يجتذب محسوده من رفعته ليهبط به الى حيث منزلته هو ومرتبته بما يدبر له من المكايد والمكر السيء وبما يفتح عليه من ابواب الشر وتسوئة السمعة فليعلم انه لا يبوء الا بالاثام ولا يربح غير الخسران ولا ينال عند الناس سوى الذل والهوان

وقد دلت الملاحظات والمشهودات على انه لا يقع التحاسد الا بين من يشتركون فى صناعة او حرفة او تجارة او فلاحة او علم اوجاه ويشهد لهذا اننا اذا عمدنا الى امتحان طائفة من الصناع فاننا لا نجد للحسد بينهم من اثر اذا ما تقاربت منزلتهم فى اتقان ما يصنعونه فان الصناعة المتقنة البعيدة عن الغش والتبس نافقة بنفسها مرغوب فيها

فالطائفة التى تتساوى او تتقارب مصنوعاتها جودة واتقانا لا تتخلق بينها اسباب التضاغن والتحاسد الا نادرا

وكذلك الشأن بين التجار الذين يبذلون موسوعاتهم فى ترويج سلعتهم واجتذاب المبتاعين الى حوانيتهم فيكثرون من الاعلان ويفتنون فى طرق التشويق والاستمالة بما يوجدون فى متاجرهم او حولها من الاضواء والالوان والنقوش والداعين والمنادين. فالذين يفعلون ذلك من التجار لا يكاد يوجد فيهم منبت صالح لنموشئ من هذا المرض الخبيث .

ومن الميسور ان يرقب الانسان اصحاب المتاجر الكبيرة بل والصغيرة من الامريقيين والفرنجة الذين لا يفتأون يبتدعون من طرق التشويق والاستمالة حتى ليتصيدن السابلة عن بعد وهم سأرون لا يبتغون بيعا ولا شراء

فخير لأولئك المصابين بمرض الحسد ان يخففوا عن انفسهم اعباء النكد ويطفئوا عن صدورهم نيران الاحقاد والاضغان وان يقوا انفسهم عاقبة ما تقترف ايديهم من الجرائم والآثام فقد وصفنا لهم طريق العلاج الشافى . ولا يتوهمن ان ذلك لا يجديهم نفعا فحسبهم ان يعتبروا بما فيه غيرهم وان يعمدوا الى المنافسة الشريفة التى يربح من ورائها المتنافسون دون ان يأثم احدهم بايذاء آخر

واذا ما قدر لاحد المتنافسين شئ من الفشل والخيبة وهذا من الحوادث الشاذة فى الدنيا فحسبه اذذاك ان يذكر ان الدنيا حظوظ وان لذلك اسبابا خفيت عن فكره فلم يدركها ولو فعل لزحزح عن سبيل نجاحه وربحه كل عقبه. ثم ليروض نفسه بالقناعة وليحذرها عواقب مطاوعة

الهوى والانقياد لما يزينه شياطين الانس من ضروب الاذى (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

ولا ريب ان هذا هو مغزى قوله تعالى فى الآيات السابقة (١) (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله)

فالله تعالى يأمر المؤمنين وقد حسدهم اهل الكتاب على ما آتاهم الله من الفضل والعلم والحكمة وبما كتب لهم من التكاليف السياسية والانظمة التعاملية التى هى مقدمات الملك العظيم والسلطان الباهر و يامرهم ان يعفوا عن حاسديهم وان يصبروا على أذاهم وان يأخذوا انفسهم بالترويض وكبح الشكيمة باقامة الصلاة التى تذكرهم بالله تعالى وتجذب قلوبهم الى العمل باوامره وتعاليمه وان يؤتوا الزكاة التى بها توفير عدد المسلمين وتقوية ضعفهم واكمال ما يلزم لهم فى درء الاذى عن دينهم وانفسهم من آلات القتال واسباب القوة وآساس السيطرة والشوكة واركان الحياة النبيلة السعيده . ثم اراد الله ان يمزق ماقد يرين على قلوبهم من الوساوس والاوهام والظن بان مايقدمونه فى تلك السبيل من اموالهم انما هو لغو ضائع وهدر لا يثمر فقال جل شأنه (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) وكيف لكم ان ترتابوا فى حسن عاقبة العاملين بعد اذ يعدكم الله ذلك و (من اوفى بعهده من الله) ام كيف لكم ان تتوهموا ان تخفى عن اعينه ذرة مما تنفقون وما تعملون و (الله بما

(١) ارجع الجزء الرابع من المجلة حيث تجد الآيات التى نحن بصدد تفسيرها

تعملون بصير)

ومما لا ريب فيه انه ما اهلك العالم الاسلامى ومزق شمله كل ممزق الا العدول عن اوامر الله تعالى والضن على اعلاء كلمته بما اغدق عليهم من خيره. فملك نواصيهم وازمة قلوبهم شح مطاع وهوى متبع.

لقد غلت أيديهم عن الانفاق فى سبيل الله فحقت عليهم كلمة العذاب والتهلكة ثم افحشوا فى الاساءة الى انفسهم فكرههم الله واعمى ابصارهم. ولو انهم عقلوا لكفاهم هاديا ونذيرا قوله تعالى (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) ولكن انى لنا ان يفهم المسلمون او يعملوا بشى من قرآنهم وتعاليم دينهم وهذه الآيات الكريمة ترشد المؤمنين الى مايجب عليهم فى ادوار ضعفهم من العمل وترينا انه اذا فتن المؤمنون فى دينهم اوابتلوا فى اموالهم وانفسهم وهم غير قادرين على مدافعة الاذى عن انفسهم واتقاء ما يشتد عليهم من الفتن بالقوة والقتال كان عليهم ان يغضوا الابصار عما يرونه من ظلمات الفتن ومظاهر الجور وان يقيموا الصلاة لينيبوا الى الله تعالى فلا يفتتنوا بالدنيا وزخارفها ولا يضنوا بارواحهم واموالهم على الله تعالى وليذكروا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة. وليستعينوا بمعبودهم الواحد رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فيستهدوه الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم بالتوفيق والعمل والحكمة والحزم فلم يضلوا عن سبيله

كذلك كان على المستضعفين من المؤمنين ان يؤدوا زكاة اموالهم

كيما يتمكنون بذلك من استكمال عدتهم وتقويم اعوجاجهم وتقوية شوكتهم واستجمام قوتهم والتأهب لحماية مصالحهم والذود عن حياضهم ودرء الاذى عن دينهم والانتقام ممن يعدون عليهم او يفتنونهم عن ملتهم

امر الله المؤمنين اذا استضعفوا بالصفح عن مؤذيهم من الامم (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة) فلا ينبغى ان يسارعوا وهم ضعفاء الى الانتقام منهم ثائرين لانفسهم اوغاضبين لدينهم حتى يأتى الله بامره وهوا كثار جموعهم (١) فتقوى بذلك شوكتهم ويعز جانبهم وينبه شأنهم وهنالك لا يقيمون على الذل ولا يرضون بالضيم ولا يصطبرون على ان يروا دينهم منتهك الحرمة مستباح الحمى (٢) وما كان للمسلمين ان ييتئسوا اذ كانوا قليلى العدد مستضعفين. خاملى الذكر مضطهدين فان الله على كل شئ قدير. ولقد صدقهم الله تعالى وعده اذ اكثر نفيرهم وضاعف قوتهم وايدهم بروحه فامكنهم من اعدائهم واورثهم الارض يتبوأون منها حيث يشاءون. وذلك اجرا لعاملين.

حسد اهل الكتاب المسلمين على ما وهبهم الله تعالى وودوا لو ان هؤلاء ينقلبون كفارا وما زالوا يزينون لهم الباطل ويحسنون لهم القبيح ويفترون على الله الكذب استدراجا لاولئك الضعفاء واغواء لهم عن دينهم فكانوا يحاولون اقناع هؤلاء بان الجنة مقصورة على من كانوا من اهل الكتاب يهودا

(١) فامر الله هنا معناه تكثير سواد المسلمين من قولهم امرهم الله فامروا (بكسر ميم الاخير) اى اكثرهم فكثروا. ومن هذا قوله تعالى (واذ اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اى اكثرنا عددهم (٢) ليس فى هذا من النسخ اثر اصلا

ونصارى فلا يدخلها فيما يزعمون احد من المسلمين (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى)

ولقد كان اكثر المسلمين اميين لا يكتبون ولا يقرأون فكانوا لاميتهم وجهالتهم يتوهمون ان ما يسمعونه من اهل الكتاب ليس من مفترياتهم وتضليلاتهم المفتعلة وانما هى بعض آيات التوراة والانجيل يلوون بها السنتهم ليحسبها المؤمنون من الكتاب وما هى من الكتاب ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

ولما كانت العرب امة امية وكان اهل الكتاب هم اهل الدرس والنظر والجدل كان أولئك يتحاشون الخوض معهم فى شئ من الحديث لما وقر فى نفوسهم من ان هؤلاء قد اختصوا بالعلم والنظر وانفردوا بالتحصيل والفتيا فكانوا يتهيبون جانبهم ويطمئنون لما يلقون اليهم من القول صوابا كان او خطأ.

ولما كان الاسلام جاء ليهدى الناس الى الطريق السوى ويعلمهم ان الانسان لا يجوز له الانقياد لكل قائد والاسماع لكل قائل والثقة بكل قول كلف الله رسوله ان يسأل أولئك المفترين من اهل الكتاب ان يدلوا بحجتهم ويتقدموا ببرهانهم يريد الله تعالى بذلك ان ليس للانسان ان يصدق ما يلقى اليه من المزاعم والدعاوى مالم تقرن بما يؤيدها من الحجة والدليل.

ولا جرم ان أهل الكتاب بما افتروا على الله من الكذب لم يجيبوا الرسول اذ تحداهم والزمهم البينة بل نكصوا على أعقابهم بعد ان افتضح امرهم

لعامة العرب والاميين وتبين ان اكثر ما يقولون ليس وحيا ولا كتابا وانما هى أمانى واكاذيب يفتعلونها افتعالا واباطيل يوسوسون بها غواية وتضليلا . ولو صدقوا لأدلوا بحججهم وقدموا براهانهم ولكنهم ما كانوا صادقين

دلت هذه الآيات الكريمة على انما كان يزعمه اهل الكتاب من ان الجنة حرام على غير اليهود والنصارى انما كانت من امانيهم واكاذيبهم التى ما انزل الله بها من سلطان ثم قصت عل المسلمين حكم الله فى خلائقه واوضحت سبيلهم الى جنته فجاء امعانا فى افحامهم وتبديدا لظلمات اباطيلهم قوله تعالى فى ختامها (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فلا يحوز انسان اجر الله تعالى واحسانه ولا يغدو فى جنة ووقاية من المخاوف والاحزان حتى يقدم بين يديه امرين اساسيين اولهما اسلام المرء وجهه الى الله جل شأنه ليذكر بالتوجه اليه واختصاصه بالالوهية والعبادة أوامره فلا يتنكب سبلها ونواهيه فلا يحوم حولها .

وثانى الاساسين الاحسان . ومعلوم ان كل ما ليس باذى وسوء فهو احسان . فمن الاحسان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونشر العلم وهداية الضالين واسعاف ذوى الحاجات وتخفيف ويلات المنكوبين واقامة المستشفيات والتزام الحذر وبذل المال فى سبيل حماية الذمار وتحرير الرقاب ومناهضة الجائرين ومحاربة الاستبداد واقامة الشورى واعداد ما تتوقف عليه سلامة مصالح الافراد والامم من القوة . كل ذلك من

وان يعيش مخوفا بالمخاوف مقرونا بالاحزان

واعلم ان معنى اسلام المرء وجهه لله ان يقصر وجهه على الله تعالى ويسلمه اياه فلا يتجه به الى غيره تعالى فى عبادة او استعانة او دعاء . والى هذا اشارت سورة الفاتحة بآية (اياك نعبد واياك نستعين) اى لا نعبد سواك ولا نستعين احدا غيرك بل انت الواحد المعبود وانت الذى يصمد اليه فى جلب المنافع ودرء المضار المتفرد بالخلق والتدبير

ذلك هو الاسلام فى الشرع فركناه اللذان هما توحيد الله بالالهية واختصاصه بالعبادة فمن اقام هذين الركنين كان مسلما وجهه لله تعالى. لذلك كان ابراهيم الخليل من المسلمين (١) (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) بل ان الانبياء والربانيين والاحبار جميعهم كانوا يدعون الامم الى الأخذ باحكام كتاب الله وكانوا عليه شهداء

لقد كان الانبياء والرسل منذ القدم يدعون الى توحيد الله والا يشرك به غيره بعد اذ هداهم الله الى معرفة حقيقته . ذلك ابراهيم جعل يقلب بصره ناظرا فى ملكوت السموات والارض ممتحنا اكبر الاجرام العلوية واعظمها فائدة وشأنا مما كان يجله المشركون ويعبدونه حتى اذا تبين له انها كائنات تتغير وعوالم تسخر وتسير قال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان)(ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان

(١) سورة ال عمران

الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ولقد كان المسيح عليه السلام من المسلمين الذين يدعون الى توحيد الله تعالى واختصاصه بالربوبية حتى لقد كان يحتج على بنى اسرائيل ويؤنبهم لتعطيلهم ناموس شريعتهم واول وصاياهم .

جاء فيما خاطب عيسى عليه السلام ربه قوله (١) « وهذه هى الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى ارسلته »

وقد جاء فى انجيل مرقس (٢) آية « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسنا سأله أية وصية هى اول الكل فاجابه يسوع ان اول كل الوصايا اسمع يااسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الاولى . وثانية مثلها هى ان تحب قريبك كنفسك ليس وصية اخرى اعظم من هاتين »

وفى الباب السادس من سفر الاستثناء « اسمع يا اسرائيل ان الرب الهنا فانه رب واحد »

وفى كتاب اشعياء (٣) ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب انه ليس غيرى . انا الرب وليس آخر »

من هنا يتبين لك انه لم تجىء شريعة سماوية بغير التوحيد حتى المسيحية

[١] الآية الثانية من انجيل يوحنا (٢) راجع الباب الثانى عشر منه (٣) راجع الباب الخامس والاربعين منه .

التى اهم اركانها عند اهلها خرافة التثليث فقد قصصنا عليك من اعبارت الاناجيل انفسها مافيه بلاغ مبين . فركن الشرائع السماوية كلها التوحيد (١) (ان الدين عند الله الاسلام) ولقد يغفر الله لعباده سيئات مايقولون وما يعتقدون ومايعملون ولكن لا يغفر لاحد ان يشرك به قال تعالى (٢) (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبينا) وقال جل شانه (٣) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وانما كان الاسلام لله تعالى وتخصيصه بالتوحيد والعبادة اقوى دعائم السعادة لان الاناسى اذا لم تقر فى انفسهم العقيدة الصحيحة فى مبدع الكائنات ومرسل الرسل بالآيات ومنزل الكتب بالهدايات لا يعنون بتدبر مايرسله من الوحى ولا يستمعون لمن يبعثهم من الرسل . فهم اذا لم ترسخ فى نفوسهم عقيدة التوحيد وتجزم عقولهم بوجود الحق سبحانه وتعالى قد تنعكس عليهم الشئون فلا تزيدهم الآيات الاعمى والهدايات الاضلالا . يفسر ذلك قوله تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقوله (ونخوفهم فمايزيدهم الا طغيانا كبيرا) ومن هنا كانت الآيات والبينات لا تفيد من الناس سوى المهتدين الذين يريدون ان يقوا ارواحهم عواقب الضلال ويتجافوا بانفسهم عن المراتع الوخيمة . أما الجاحدون المعاندون فقلما افادتهم العبر والآيات

[١] سورة آل عمران [٢] سورة النساء [٣] سورة آل عمران

(الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم و اولئك هم المفلحون)

فاذا وقر فى نفس انسان صحة وجود الله تعالى وتوحيده بالعبادة والاستسلام كان خليقا ان يأتى بالحسن فى شئونه واعماله فيحسن الى نفسه والى دينه والى وطنه والى امته غير واهن ولا ضنين .

فاذا اسلم الانسان وجهه لله واخذ باسباب الاحسان على النحو الذى شرحنا آنفا كان على الله ان يوفر نصيبه من الاجر وان يطمئن نفسه فلا تحيط بها المخاوف ولا تطرقها الاحزان . ذلك وعد الله وان الله لا يخلف الميعاد .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ . كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

قد سبق فى الآيات التى قبل هذه ان اهل الكتاب زعموا تحريم الجنة على المسلمين فقالت اليهود لا يدخل الجنة الا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا . وقد اسلفنا ان قولهم ذلك ما كان

الا عنادا وحسدا وكفرا بما علموا حتى لقد عجزوا ان يقدموا برهانهم اذ تحداهم الرسول عليه السلام وطالبهم بالبينة ثم جاءت هذه الآيات تقص علينا من امر اهل الكتاب وضروب عنادهم عجبا .

جاءت التوراة فبشرت بمقدم عيسى عليه السلام ثم جاء عيسى فدعا قومه الى الاخذ بتوراة موسى حتى كان من اركان المسيحية الايمان بكتب العهد القديم جميعها . فاما اليهود فقد عادوا المسيح على عهده واضمروا العداوة والبغضاء للنصارى من بعده مخالفين بذلك بشارات كتابهم وهم يتلونه عالمين بما فيه. واما النصارى فانهم على علمهم بان من اركان دينهم الايمان بالتوراة التى هى كتاب اليهود قد كانوا ينكرون لليهود ويضللونهم .

روى عن ابن عباس قوله لما قدم اهل نجران من النصارى على الرسول اتتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله فقال رافع بن حريملة ما انتم على شئ وكفر بعيسى بن مريم وبالانجيل فقال رجل من نصارى نجران ما انتم على شئ وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فجاء فى ذلك آية وقالت اليهود ليست النصارى على شئ (الى قوله) فيما هم فيه يختلفون .

ضرب القرآن هذه القصة مثلا ليبين ان القوم لم يكونوا بدعا اذ قاموا ينكرون القرآن ويكفرون المسلمين ويحرمون الجنة على غيرهم ممن لم يدن بدينهم فقد بلغ بهم العناد والبغى والانقياد للتشهى والعصبية

ان كفر كل فريق منهم الآخر وبين ايديهم التوراة والانجيل فيهما حكم الله سالكين فى مجادلاتهم سبيل الجاهلين الذين لا يعلمون .

واذا كان هذا حال اهل الكتاب بعضهم مع بعض فكيف يعجب من جحودهم لما عليه المسلمون واصرارهم على تضليلهم وزعمهم ان رحمة الله وجنته محرمة عليهم وانها لا تسع الا من كان يهوديا او نصرانيا .

وفى الآية الكريمة اشارة الى ان اثم العالم عظيم وان كفر اهل الكتاب انما كان كفر عناد وحسد وجحود لما بين ايديهم من الكتب التى يزعمون انهم بها مؤمنون وباحكامها عاملون ولمنزلها خاشعون .

وتدل هذه الآية الكريمة على ان من الجرائم والآثام عدول الانسان عما بلغه من العلم انقيادا لتشهى نفسه او اتباعا لقول غيره. فمن فهم حكما او احرز علما وجب عليه التمسك به واثم بكفرانه وستره او تقليد غيره فى غيره .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِى خَرَابِهَا؟ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ. لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

اقيمت المساجد فى الاسلام لمقاصد منها ذكر الله الذى شقى الغافلون

عن ذكره وسعد الذاكرون لاسمه. وقد بسطنا فيما اسلفنا الكلام فى بيان كيف ان الغفلة عن الله تعالى مجلبة لسخط الله ومفضية الى شقوة الغافل.

ومجمع الكلم فى ذلك ان فى ذكر الله ذكر عظمته وجبروته وذكر حسابه وجزائه فكلما ازداد تذكر العبد لربه ازداد ابتعاده عن الشر وتجافيه عن مضارة الناس وانابته الى الله تعالى مستنزلا بذلك رضاه واحسانه .

واذا ازدادت غفلة الانسان عن الله تعالى كان خليقا ان تكثر آثامه ويزداد بغيه وعدوانه وتقل توبته وايمانه

ولا ريب ان مساجد الله يقصدها الناس ليذكروا اسم الله تعالى فيبتعدوا بذلك عن الغفلة التى قد بينا عواقبها الوخيمة ونتائجها الضارة .

ومن مقاصد المساجد اقامة الجماعات خمس مرات كل يوم كيما يتمكن الناس بذلك من التعارف والتآلف فتوثق بهذا جامعتهم وتشتد لحمتهم وتمحى من بينهم آثار التناكر والتنافر التى هى مبعث التفرق والتدابر ومنشأ المخاصمات والفتن .

ومن تدبر كيف تبدل المسلمون غير انفسهم وكيف اشتد البأس والعداوة بينهم واعتبر بما ذكرناه هنا ايقن ان المسلمين لو استقاموا لربهم وقصدوا مساجده واقاموا بها الصلوات فى الجماعات لما تمزق شملهم ولا انفرط عقد نظامهم ولكنهم عطلوا اسباب التآلف والتآخى فتقطعت اوصالهم وذهبت ريحهم

تبين مما اسلفنا ما يرتد على جماعة المسلمين من الفوائد العظيمة

والثمرات الشهية اذا اقيمت فيهم المساجد وازدادت عمارتها بالصلوات واقامة الجماعات . فمن اظلم اذا ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ؟ ان الذين يفعلون ذلك انما يبتغون ان يحاربوا الله بتعطيل شعائره وايقاع التناكر والتفريق بين عباده الموحدين حتى لا يلتئم لهم شمل وان يعودوا المسلمين الغفلة عن ربهم حتى لا يذكروا جلاله وحسابه ولا يتقوا غضبه وعقابه.فاذا بلغوا هذا الدرك السافل اختلت شؤنهم وفشا البغى والعدوان بينهم فتمكن بذلك اعداؤهم من رقابهم ونالوا ما شاءوا منهم .

لهذا كله حذر الله المسلين من ان يمكنوا هؤلاء من دخول مساجدهم باغين معتدين ولا آمنين مطمئنين اذ ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .

ومن هنا يتبين ان الآية الكريمة تفرض على المسلين ان يدفعوا الاذى عن مساجدهم فلا يمكنوا منها احدا ممن يريدونها بسوء اذ لا ريب ان الساعين فى هجران المساجد او المعطلين لذكر الله فيها ما يريدون من ذلك سوى ما بينا من تمكين الغفلة عن الله من قلوب المسلمين وحرمان هؤلاء مما تفيدهم الجمعات والجماعات من التعارف والتآلف واستماع الموعظة الحسنة والتذاكر فيما فيه الخير والبركة للعالم الاسلامى.

اذا فليس لاحد من المسلمين ان يرى مساجد الله تهدم او توصد ابوابها فيقف منها موقف الجامد غير المبالى فان ذلك اثم كبير وتفريط فى الاحتفاظ بحقوق الله .

واعلم ان ما حملنا عليه الآية الكريمة من ان النفى فى (ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) من ان يكون كناية عن نهى المؤمنين ان يمكنوا احدا من الحاق الاذى بمساجدهم له نظائر كثيرة فى القرآن الكريم فمن ذلك آية (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) اى لا يباح لكم ذلك . وكذلك آية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) اذ ليس المراد هنا ما زعموه من ان الكافرين لا تعلو كلمتهم على المسلمين وان لا يكون لاولئك سبيل الى قهر هؤلاء وامتلاك بلادهم فقد جاءت الحوادث منذ تفرقت كلمة المسلمين ناطقة بان المسلمين كثيرهم لا تعلو كلمتهم ولا يتهيب جانبهم ولا يخاف بأسهم الا اذا اتحدت كلمتهم وطهرت نفوسهم واستمسكوا باسباب اليقظة والحذر واعدوا لاعدائهم ما استطاعوا من القوة والعده

اذا فماذا اريد من هذه الآية ؟ ان حذاق اللغة العربية واصحاب الذق السليم فيها لابد ان يتأولوها بان الله تعالى لم يكن ليجعل من احكام شريعته المطهرة ما يلزم المسلمين بالخنوع والانقياد لاحكام الكافرين ويوجب عليهم السكون والطمأنينة لسلطانهم اذ يريد جل شأنه ان يجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا .فالمسلمون الذين يستسلمون لاحكام الكفرة ويطمئنون لسلطانهم والذين يزدلفون منهم ويتقربون اليهم بدماء اخوانهم فى الدين والمسلمون الذين يوالون هؤلاء الكفرة ابتغاء الجاه او المال كل أولئك ضالون ظالمون . يدل على ما ذكرنا فى تأويل هذه الآية قوله تعالى يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله و اطيعوا

الرسول واولى الامر منكم) فقوله منكم صريح فى انه ليس للمؤمنين ان يطيعوا اولى الامر من غير انفسهم الا ان يتقوا منهم تقاه .

اذا فالنفى فى آية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) خبر اريد به ان ينهى الله عباده المؤمنين ان يستسلموا لغيرهم معللا ذلك بانه عز شأنه لن يجعل من احكام شريعته ما يبيح للمسلمين ذلك . وعلى هذا النحو من الاتيان بالنفى مرادا به النهى جاءت الآية التى نحن بصددها وهى (أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين)

فالمؤمنون ما كان لهم ان يمكنوا الكفار من الايذاء لمساجدهم او الدخول فيها راغبين فى تعطيل شعائر الاسلام او صادين المسلمين عن سبيل الله ولكن لا اثم عليهم اذا ما دخل هؤلاء الكفار تلك المساجد خائفين مستأمنين يريدون بالتجائهم اليها ان يحقنوا دماءهم ويكفوا عن مأواة المسلمين ومحاربتهم فان فعلوا ذلك فقد حقت لهم الذمة والعهد وحرمت دماؤهم وحقوقهم فلا يعتدى عليها على نحو ما جاء فى قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا)

هذا وامر الله للمؤمنين ان يدرأوا عن مساجدهم اذى المعطلين للشعائر الصادين لهم عن ذكر الله قد يبعث المشركين على الطعن فى الاسلام والظن بان هذا الدين الذى عماده توحيد الله بالربوبية واختصاصه بالعبادة والاستعانة والدعاء قد وجد فيه ما يشعر بالتجسيم وان لله بيوتا لا يوجد الا فيها ولا يقبل العبادة الا بين جدرانها وانه لولا

ذلك ما امرهم هذه الآية الكريمة بمدافعة الاذى عن مساجده ونهتهم عن ان يروا ما يقصد بها من التعطيل والتخريب فيقفوا دون هذا جامدين . لهذا جاء فى نقض هذه المزاعم قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)

فحث الله المسلمين على صد المؤذين مساجده لم يكن لانها بيوته يأوى اليها او معاهد وجوده يتجه اليه فيها وانما ذلك لانها (بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزى الله كل نفس ما كسبت)

تنبيه : مما يجمل ذكره هنا ان العلماء لم يهملوا البحث فى بيان المتشابهات وتأويلها ومن احسن ما جاء فى بيان الوجه الذى اضيف الى الله فى كثير من آيات القرآن قول الفقيه محمد بن احمد اللبان (١) فى كتابه « رد الآيات المتشابهات الى الآيات المحكمات » اذ يقول قد جاء ذكر الوجه فى غير ما آية فاذا اردت ان تعلم حقيقته ومظهره من الصورة فاعلم ان حقيقته بارق نور التوحيد ومظهره من العمل وجهة الاخلاص (فاقم وجهك للدين حنيفا) ويدل على ان وجهة الاخلاص مظهره قوله تعالى (يريدون وجهه) وقوله (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) والمراد من ذلك كله الثناء على اهله بالاخلاص تعبيرا بارادة الوجه عن اخلاص النية . ويدل على ان

(١) توفى سنه ٧٤٩ هجريه

حقيقة الوجه هو بارق نور التوحيد قوله تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) اى الا نور توحيده وهو السموات والارض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخره) وبهذا يفهم سر قوله تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله) ا ه

ومما اسلفنا يعلم ان الوجه اذا ذكر مضافا الى الله تعالى كان كناية عن نور توحيده اى الآيات الناطقة بانه الواحد ولا ريب ان الانسان لا يقبل بوجهه على جهة فى المشارق والمغارب حتى يرى وجه الله ونور توحيده المتجلى فى كل ذرة من خلائقه .

وفى كل شئ له آية   تدل على أنه الواحد

واذا اضيف الوجه الى الانسان فى القرآن فاكثر ما يدل على الاخلاص واختصاص ربه تعالى بالتوجه والعباده . فآية (اقم وجهك للدين حنيفا) ونحوها من الآيات انما يراد بالوجه فيها المعنى الكنائى وهو الاقبال على الله واسلام الانسان وجهه اليه فلا يعبد احدا سواه ولا يتجه بوجهه لمعبود غيره ومن البين ان اولئك الذين منعوا مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعوا فى خرابها ما فعلوا ذلك الا لما ذكرنا آنفاً اولانهم يزعمون ان التوجه لا يكون الا للبيت المقدس مثلا ولا يصح الا فى البيع اوالكنائس او بيوت الاصنام فكان ابلغ رد عليهم وادمغ حجة قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) فالله تعالى الذى له المشرق والمغرب العليم بمن يسلم اليه وجهه انما كان يتقبل من

عباده من يتوجه اليه بوجهه ويقنت لامره ونهيه فى أية بقعة من الارض (جعلت لى الارض مسجدا) (١) فما كان لاهل الكتاب او غيرهم ممن خربوا مساجد المسلمين ان يضلوا عن هذه الحقائق فيذهبوا مذاهب المجسمة ويصدوا المسلمين عن التماس نور الله تعالى وهدايته فيما اقاموا من المساجد فانهم ان ولوا وجوههم الى الله تعالى فى اية بقعة من الارض فثم يجدونه .

(بحث دقيق) خاض المفسرون فى تأويل هذه الآية واتوا فى ذلك بالشوارد والغرائب ولو انهم تدبروا الآية الكريمة وفقهوا كلمة الشرط وهى (اينما) لسهل عليهم جدا بلوغ الحقيقة بلا شطط فى التأويل .

ان كلمة (اينما) اسم شرط يفيد الظرفية المكانية فالمعنى كما اسلفنا ان كنتم فى اى مكان فوليتم وجوهكم الى الله فثم وجه الله فتولية المسلمين وجوههم انما هى الى الله لا الى المكان وان كانت واقعة فى المكان. مثال ذلك ان تقول اينما تنظر الى انظر اليك . اى ان نظرت الى وانت فى اى مكان فانى انظر اليك .

وعلى هذا ليس فى الآية فيما رايت تعرض للقبلة اهى بيت المقدس ام الكعبة ام غيرهما فكل ما ذكره المفسرون فى هذا الباب من مباحث النسخ والقبلة شطط و ابتعاد عن المعانى الواضحة التى تقتضيها اساليب اللغة العربية

وللطبرى فى هذا الباب كلام طويل جدا جاء فيه على كثير من

(١) حديث شريف

الآراء فى تأويل هذه الآية ثم ختمه بكلمات بالغة فى تفنيد اقوال
من زعموا ان الآية من باب الناسخ والمنسوخ فليرجع اليه من شاء

وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموت والارض كل له قانتون

قد علمنا مما قدمنا ان الله لا يغفر ان يشرك به غيره وانه لا يخاف ولا يحزن من يسلم وجهه الى الله وهو محسن. ولما كانت هذه الآيات الكريمة مترادفة فى معنى اثبات وحدانية الله تعالى وانفراده بالعبادة والربوبية كان من نتائج مجادلة اهل الكتاب والمشركين بتلك الآيات الباهرة والادلة البينة القاطعة تجبيههم والتنكر لهم فيما جعلوا لله تعالى من الولد والبنات (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله. ذلك قولهم بافواههم يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون)

فمن الشرك الصريح زعم النصارى ان عيسى ابن الله وزعم اليهود ان عزيرا ابن الله . فهؤلاء على الزعم من انهم اهل كتب سماوية تأمر بتوحيد الله تعالى وتنفى عن الله الشركاء فى الربوبية والعبادة سلكوا مسلك الجاهلين من المشركين الذين (يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)

قد اسلفنا ان الاسلام هو دين ابراهيم وموسى وعيسى وسائر الرسل عليهم السلام (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ولقد اصبح

من السخافات وهذيان عجائز النساء القول ببنوة المسيح لله تعالى شأنه حتى انه يكاد يكون من العبث واللغو ان نخوض مع اولئك الجاهلين من النصارى فى مجادلة او مناقشة غير اننا اتماما لمبحث التوحيد نذكر لك نبذا من شبهاتهم لتعلم ان القوم على ما آتاهم الله من الذكاء وسعة العلم وعلى كثرة ما يجاهرون من انهم اهل الفلسفة والزندقة وجحود ما وراء المادة والطبيعة لا يزالون يقولون بسخافات لا تخالف شكل الخرافات وروحها فى شى .

اننا نريد هنا ان نخالف ما سلف لنا من ان التوراة والاناجيل المعروفة اليوم ليست صحيحة ولا متواترة ولا متصلة السند فنفرض جدلا انها كما يزعمون فهل نجد فيها ما يدل على التثليث او ابوة الله للمسيح؟ ان المسيح عليه السلام كان يعبر عن نفسه بابن الانسان وقد نجد هذا التعبير فى نيف وعشرين موضعا من انجيل متى الحوارى ولا يخفى ان معنى هذا انه انسان .

على ان لوقا فى الباب الثالث من انجيله فى بيان نسب للمسيح يقول انه ابن يوسف (١) وآدم ابن الله. فلوقا الحوارى قد جعل المسيح ابنا لانسان معروف وان آدم لكونه لم يخلق من ابوين من جنسه سماه ابن الله وان كان اجماع المسيحيين وغيرهم على انه ليس ابنا لله بالمعنى المتعارف. بلى قد جاء التعبير بابن الله وابناء الله فى كثير جدا من ابواب

(١) هو يوسف النجار .

الا ناجيل مرادا بذلك احباؤه واصفياؤه فمن هذا (١) « طوبى لصانعى السلام لانهم ابناء الله » وفى المكالمة التى وقعت بين اليهود والمسيح ورد (٢) « أنتم تعلمون اعمال ابيكم فقالوا له اننا لم نولد من زنا. لنا اب واحد هو الله فقال لهم يسوع لو كان ابا كم كنتم تحبوننى »

وفى الباب الثالث من الرسالة الاولى ليوحنا تجرى الآية التاسعة هكذا « كل مولود من الله لايفعل خطيئة لان زرعه يثبت فيه ولا يستطيع ان يخطئ لانه مولود من الله » وفى الباب الخامس من الرسالة المذكورة قوله « كل من يؤمن ان يسوع هو المسيح فقد ولد من الله » وقوله بهذه نعرف اننا نحب اولاد الله اذا احببنا الله وحفظنا وصاياه »

وقد جاء فى الباب السابع من سفر صموئيل تسمية سليمان بابن الله هكذا « وانا اكون له ابا وهو يكون لى ابنا »

وفى مناجاة اشعياء النبى نجده اطلق كلمة الاب على الله بالاضافة الى نفسه والى بنى اسرائيل اذ يقول (١) « والآن يارب انت ابونا »

من الآيات السابقة جميعها يمكن ادراك ان كلمة الابن الواردة فيها انما اريد منها اهل الطاعة والمصطفين الاخيار من عباد الله تعالى وان التعبير عن الله بالاب فى جانب هؤلاء انما هو كناية لاحقيقة .

وقد جاء فى كتب العهد ايضا تسمية الله تعالى بابى اليتامى مرادا به الرؤف بهم الذى يشملهم بلطفه واحسانه

---

(١) انجيل متى آيه ٩ باب ٥ (٢) انجيل يوحنا آية ٤١ باب ٨

(١) كتاب اشعياء ايه ٨ باب ٦٤ (٢) الآية ٥ من الزبور ٦٧

ومن جهل النصارى وضلال عقولهم استمساكهم بما جاء فى الباب الثامن من انجيل يوحنا عن المسيح « فقال لهم انتم من اسفل اما انا فمن فوق . » اذ لايخفى ان هذا من الكنايات الشائعة حتى بين عوام جيلنا الحاضر . فلقد ينكر الانسان على اهل بلده او على قبيله او افراد اسرته بعض الهنات والصفات فيأخذ يتبرأ منهم اى مما هم عليه وان نبت فيهم وانتسب اليهم وكان جزءا فى الواقع من جماعتهم . فقول المسيح انا من فوق ليس معناه مايفهم الجاهلون من انه نزل من السماء وانه ليس من العالم البشرى بل المراد انه لعصمته ومكانته من صفوة الله واخياره من عالم آخر غير العالم الذى عاش فيه صفات واخلاقا وعقلا وعدلا ويدل على هذا ما جاء فى الباب السابع من انجيل يوحنا اذ يقول المسيح فى شأن تلاميذه (لانهم ليسوا من العالم كما انى لست من العالم) فلو كانت هذه العبارة تقتضى الالوهية فالمسيح وتلاميذه جميعا اذا آلهة يعبدون .

ومن شبهات النصارى التى اضلتهم حتى حملتهم على القول بان الله والمسيح واحد بعض فقر جاءت فى انجيل يوحنا فمن ذلك الآية ٣٠ من الباب العاشر (انا والاب واحد)

استدل النصارى على شركهم بهذه الآية وفاتهم ان مثل هذا ورد ايضا فى شأن الحواريين فقد جاء فى الباب السابع عشر من انجيل يوحنا قوله (ليكون الجميع واحدا كما انك انت ايها الاب فى وانا فيك ليكونوا هم ايضا واحدا فينا) وقوله (انا فيهم وانت فى ليكونوا مكملين الى واحد)

وقوله (فى ذلك اليوم تعلمون انى انا فى ابى وانتم فى وانا فيكم) وهناك آيات أخرى كثيرة جاءت على هذا النحو من التعبير فهل شئ من ذلك معناه حلول الله تعالى وتقدس فى غيره اوحلول غيره من افراد البشر فيه اللهم ان هذا الاضلال مبين وافك عظيم وجهل باساليب الكلام وحسن البيان .

والحقيقة ان الاتحاد فى سائر الآيات انما هو ارتباط الله بعباده بلحمة طاعته وامتثال اوامره والوقوف عند حدوده فاتحاد الانبياء بالله تعالى اشد من اتحاد غيرهم به اذ الناس فى طاعة الله مراتب مختلفة بعضهم فوق بعض درجات

وكذلك يجيز التعبير بالاتحاد فى جانب الله والانبياء انهم هم المبلغون لرسالاته المعبرون عن وحيه الداعون الى سبيله فهم سفراء الله الى عامة عباده . وعلى هذا النحو ماجاء فى القرآن الكريم (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم)

ولقد جاءت الكتب المسيحية نفسها ناطقة بان فكرة التثليث ما كانت فى القرون الاولى للتاريخ المسيحى فقد جاء فى دائرة المعارف الانجليزية لهرمزوورث ان عقيدة التوحيد المبنية على تعاليم العهد القديم والتوراة كانت هى المعروفة فى الكنيسة الاولى ثم اخذت تضعف رويدا رويدا تجاه المذهب الارثودوكسى (التثليث) حتى كادت تزول . ولكن لم يكد نور العلم والعقل تنتشر اشعته فى العالم النصرانى حتى عادت العقيدة

التوحيدية تجد سبيلها ثانية الى قلوب المحصلين الذين كسروا اغلال التقليد من المسيحيين . وبالرغم من التنكيل والتعبيد اللذين كانا جزاء من يخالف القول بالتثليث فقد انتشرت فى اوروبا عقيدة التوحيد فى اواسط القرن السادس عشر لاسيما بايطاليا وبولانده وترانسلفانيا وقد اشتهرت هذه البلاد الاخيرة بانها صارت مهد القول بتوحيد الله تعالى

ثم انتشرت كنائس الموحدين من النصارى فى اوروبا وغيرها وكذلك اقيمت لهم المدارس فى كبريات المدن العلمية فى كل مملكة من الممالك المسيحية (١)

ويجمل بنا هنا ان نختم مبحث التوحيد بكلمة لكبير ممن أساطين نصارى الانجليز وهو اللورد ماكولى أتينا على ترجمتها فى رسالتنا «الاسلام دين الفطرة» نريك بها كيف ان عقيدة التثليث والحلول اصبحت مقبوحة منكرة لدى كل عاقل حتى من المسيحيين انفسهم . وهذا نصها .

ان علماء المنطق قد بنوا عقائدهم وقضاياهم على البرهان العقلى فامكنهم ان يسلموا القول بأن من الاشياء مالا يمكن للعقل ان يحيط به بخلاف السواد الاعظم من العامة فان معظم افكارهم وقضاياهم اما خيالية اووهمية او شعرية فلا يكادون يبنون شيئا من مذاهبهم ومعتقداتهم على نظر

(١) من شاء تفصيلا اكثر من هذا فعليه بدوائر المعارف الكبرى الموضوعة باللغات الاوروبيه

صحيح وفكر سليم ومن هنا نشأت كما يظهر الاديان الوثنية فى كل امة فى كل جيل فى كل زمن فاختلفت لذلك صور الآلهة باختلاف ماصوره خيال معتقديها

ولطالما اذن فينا التاريخ بيان ما ادخل اليهود قديما فى دينهم من البدع متمسكين بما املاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة ان يكون لهم اله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والاجلال . ويمكن القول بأن معظم الاسباب التى ذكرها جيبون وجعلها اساس انتشار الدين النصرانى لم تؤثر ذلك الاثر ولم تنثر ذلك الدين فى اطراف الارض الا لانها كانت مشفوعة بكثير من تلك القضايا الوهمية التى كان لها اكبر سلطان على نفوس السذج من العامة فان العالم يخلق وكائنا لا تدركه الابصار ولا تحيط به الظنون لم يقل به الا الفلاسفة العالمون اما الاخلاط ضعاف العقول من الناس فانهم ضاقت دائرة افكارهم وانقطعت سلسلة ادراكهم عن ان تصل الى القول باله ليس له صورة محدودة فى نفوسهم فكانوا يتأففون ويهزؤن ويضحكون من اولئك الفلاسفة راميهم بالبله او قصور الذهن

طاشت النفوس فى الازمنة القديمة وضلت الصراط السوى وقست القلوب وانتهكت الحرمات فجاء المسيح عليه السلام واخذ يعلم الناس ويدعوهم الى ماجاء به من الهدى فمنهم من آمن ومنهم من كفر

ولم يسلم تابعو المسيح من النصارى ان يصيبهم فى ايمانهم مثل ما اصاب اليونان والفرس وغيرهم من قبلهم فمثل الاله لهم فى صورة ادمى

مشى بينهم وشاركهم فى اعراضهم وما يعتريهم من الانحلال والاضمحلال كما كان يبكى على القبور وينام فى الحظائر ثم صلب حتى سال دمه على اعواد الصليب فظهروا بذلك للعالم فى لباس جديد من الوثنية ثم كان لهم من القسيسين والرهبان بعد ذلك لفيف من الآلهة على مثال ما كان لليونان فكان القديس جورج لديهم اله الحرب كما كان المريخ عند اليونان وكذلك اتخذوا العذراء وسيسليا وغيرها آلهة الجمال وفنون الادب كما كانت الزهرة وسبع كواكب اخرى آلهات لدى اليونان وهلم جرا

ولطالما اخذ المفكرون من رؤساء الدين يزيلون ما لصق بعقول العامة من تلك الصور الوهمية ولكنهم لم يفلحوا

نجد العامة الى هذا اليوم يتعشقون سماع كثير مما لا معنى له من الخزعبلات ويتهافتون على تلقف سير بعض من لا قيمة لهم فى سوق الفضائل والمكرمات اكثر مما يميلون الى تعرف وتفهم شئ من قواعد الدين الاساسيه انتهى ببعض تصرف

ابن رشد وتعاليمه

٦

ولاية العهد . الشورى

لقد بين ابو الوليد ابن رشد الحكومات وانواعها وشرح الجمهورية ونظامها فى كتاب السياسة والجمهورية غير انه فى كتاب الجمهورية بعدما فصلها وبين الانظمة التى كانت متبعة قديما رأى ان هذا النوع من الحكومات هو الذى يدعو اليه الاسلام وليس ثمة نوع من انواع الحكومات ينطبق على اصوله سواه . ولما كان هذا الموضوع مرتبطا بمسألة الامامة ايما ارتباط راينا ان نأتى بنبذة صغيرة نبين فيها آراء فرق الاسلام فى هذا الموضوع ثم نتبعها بعد ذلك برأى ابى الوليد ليزداد الموضوع كشفا وايضاحا .

اختلف المسلمون فى وجوب الامامة وفى طريق وجوبها الى فرق وطوائف.

الطائفة الاولى ترى ان نصب الامام العام من الواجبات الشرعية لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى امورهم وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ويرى هذا اكثر المسلمين .

الطائفة الثانية ترى ان نصب الامام واجب الا ان طريق ذلك العقل لا الشرع لضرورة اجتماع البشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لتباين الاغراض وتخالف المنافع و تضاربها فاذا لم يكن هنالك حاكم يقيم العدل وينصف الناس ويرجع اليه العالم سادت الفوضى وهلك البشر ومن هذه الطائفة اكثر المعتزلة والزيدية .

(الثالثة) ترى وجوب نصب الامام العام وترى ان طريق ثبوت ذلك العقل والشرع ومن هذه الطائفة الجاحظ وابو الحسين من المعتزلة والكعبى .

(الرابعه) ترى ان نصب الامام ليس بواجب لا عقلا ولا شرعا والواجب عند هذه الطائفة امضاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل و تنفيذ احكام الله لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه ومن هذه الطائفة الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج . وهذه الطوائف على اختلاف آرائها وتباينها اتفقت على انه

لا يصح اسناد هذا المنصب الخطير الا الى الملم بتعاليم الاسلام البصير بمصالح المسلمين الواقف على سياسة الممالك وتدبير الامم اما اشتراط النسب القرشى فقد اختلف الناس فيه اختلافا كبيرا فمنهم من ذهب الى عدم وجوبه اما المثبتون فقد استدلوا باجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الانصار لما هموا ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش فحجوا الانصار ورجعوهم عن قولهم وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد

اما الذين ذهبوا الى عدم اشتراط النسب فقد نظروا الى قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة وقول عمر رضى الله عنه لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته اولما دخلتنى فيه الظنة . الرقابة على مصالح المسلمين والنظر فى سعادتهم ورقيهم لا تختص القرشى بل قد يكون غيره ابعد منه نظرا واسمى فكرا واكثر غيرة وسهرا على المصالح العامة . اما ما قاله صلى الله عليه وسلم فهو من الامور السياسية المنوطة بمصالح البشر المتغيرة بتغير الزمان والمكان المتبدلة بتبدل الملة وتخلفها قال ابن خلدون .

ونحن اذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبى صلى الله عليه وسلم لان التبرك ليس من المقاصد الشرعية فلابد اذاً من المصلحة فى اشتراط النسب وهى المقصودة من مشروعيتها واذا سبرنا وبحثنا لم نجدها سوى اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قريشا كانوا عصبة مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر المزة بالاكثرية والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردوهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرة فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر فى قريش لانهم قادرون على الشؤن بعصا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم فاشترط نسبهم القرشى فى هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ذلك ابلغ فى انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم سائر العرب وانقادت الامم سواهم

الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد فاذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلبة وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية اهـ ببعض تصرف

فيؤخذ من ذلك ان الامامة العامة والخلافة تابعة للعصبية فالوقوف عند النسب القرشى وتطبيقه على كل طبقة من طبقات الامم الاسلامية وكل جيل من اجيالها جهل بالحكم الشرعية والتعاليم الاسلامية القويمة. بقى علينا ان نبين رأى ابى الوليد ابن رشد فى الامام او حاكم المسلمين العام. يرى ابن رشد (١) ان اساس الجمهورية هو المساواة بين الناس فى كل الحقوق السياسية والمدنية واعتبار الجمهور غير متفاوتين فى شىء من الحقوق العامة فكل واحد مسؤول أمام الله والتاريخ عن حماية دينه من الغوائل والذود عن حياضه والدفاع عنه ما استطاع فليس النظر فى دفع الطوارىء ورفع الغوائل وتقويم ما اعوج من الامور مخصوصاً بطائفة او جماعة وليس لقرشى او هاشمى فى ذلك فضل او ميزة على غيره ولقد قرر هذه الاصول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على اعجمى انما الفضل بالتقوى وبقوله فى اخريات ايامه ايها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منى ومن كنت شتمت له عرضا فليستقد منى ومن اخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلى فانها ليست من شأنى . الآن فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة

فهذا يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى نفسه كغيره فى الحقوق المدنية فليس بسلطان مسيطر بل ببشر منذر مبلغ للناس ما اوحى به اليه (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى) (فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر)

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يول للمسلمين اماما ينظر فى شؤونهم ويحافظ على مصالحهم لان ذلك من ضروب السياسيات التى ينبغى ان تنظر الامة فيها بنفسها فتولى عليها من ترى فيه الكفاية للقيام باعباء الخلافة فاختارت الامة

(١) يؤخذ ذلك من كتاب الجمهورية الذى فقد اصله العربى ونقل من العربية الى الفرنسية

بعد رسول الله ابا بكر اماما وخليفة فسار على اقوم طريق ثم عهد عند موته لعمر بن الخطاب تاركا الامر للامة فانها هى المرجع الاعلى العليمة بمصالحها وامورها وقال فى خطبته من رأى فى اعوجاجا فليقومه اشارة الى ان الخليفة ليس بسلطان قاهر يعمل ما يراه وينفذ ما يشاء بل بقاء الخليفة منوط بنظره الصائب وفكره الثاقب وسهره على مصالح العباد ولذلك قال له احد الاعراب لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا لعلمه بان وظائف الخليفة لا تتجاوز النظر فى المصالح العامة وتامين السعادة والرفاهية للمسلمين

وقبل ان يلاقى عمر ربه فوض الامر الى رؤساء الامة وكبارها العليمين بمصالحها الواقفين على امورها ولم يشرك بهم ابنه مع انه كان من الرجال المعروفين بالتقوى والخبرة ليكون بعيدا عن مواطن الشبهات ولما آل الامر الى عثمان فعلى فمعاوية سن هذا الاخير تلك السنة وهى ولاية العهد لابنه وهو يعلم ان ابنه ليس اهلا للملك فانه لم يكن بذى الدين المتين والخبرة بالمصالح واننا لا ننسى ما اتبعه معاوية من القسوة والغلظة فى اكراه الناس على بيعة ولده . ولقد كان عمل معاوية هذا سنة لغيره من امراء الاسلام. ويرى ابن رشد كما يرى كثير من الفقهاء ان البيعة على هذه الصورة غير صحيحة وان الخليفه الذى نصب على هذا الوجه لا يمثل المسلمين ولا تجب طاعته فالخليفة الذى يمثل المسلمين حقيقة هو الذى يتولى الامر والمسلمون عنه راضون والقلوب حوله ملتفة حتى اذا قال شيئاً صغت اليه الآذان وتطأطأت له الرؤس ودانت له الرقاب .

أثر فلسفته فى اوروبا

يرجع الفضل فى نشر فلسفة ابن رشد الى تلاميذه اليهود الذين اقام بينهم فى (اليسانه) منفاه كان الله ابتلاه بهذا النفى لاحياء فلسفته ونشر تعاليمه وآرائه . واول من اشتغل بدرس فلسفة ابن رشد بعد وفاته عالم من علماء اليهود وكبير من كبرائهم يدعى موسى بن ميمون احد تلاميذ ابن رشد اشتغل هذا الرجل بدرس فلسفة استاذه مع مقابلتها بفلسفة ارسطو الاصلية فاستخرج من الفلسفتين فلسفة اخرى اراد تطبيقها على الدين اليهودى رغبة فى التوفيق بين الحزبين اللذين استعرت بينهما الفتن وقامت الحروب الجدلية زمنا طويلا غير ان سعيه كان هباء ودعاؤه كان صراخا فى الفضاء

ولما فر اليهود من الاندلس الى الاقاليم المجاورة لجبال البرينيه بسبب الاضطهادات التى لحقتهم هجروا اللغة العربية التى كانوا يكتبون ويؤلفون ويدرسون بها لانه ليس من حاكم يحميها ويدافع عنها بل كم مصايب كانت تنصب على رؤوس المتكلمين بها والمشتغلين بدراستها فرأى اليهودان من الزم الواجبات ان ينقلوا كتب الفلسفة العربية الى اللغة العربية حتى لاتدرس وتزول واول من قام بهذا العمل اسرة طيبون التى غادرت الاندلس الى مدينة لوتل فى فرنسا فترجم موسى بن طيبون وصمويل بن طيبون بعض ملحقات ابن رشد فى فلسفة ارسطو

ولما تبوأ الامبراطور فردريك الثانى عرش المانيا عهد الى كثير من الفلاسفة والكتاب ترجمة كتب كثيرة من العربية الى اللاتينية . واول من ادخل فلسفة ابن رشد فى اوروبا مخائيل سكوت الطليطلى فى سنه ١٢٣٠ وكان من المقربين الى الامبراطور المذكور وبعده قام هرمان المانى فحذ احذوه . وممن عهد اليهم الامبراطور المذكور ترجمة كتب الفلسفة العربية يعقوب بن مريم بن ابى شمسون من اليهود الذين اقاموا فى نابولى فترجم هذا الرجل كتبا عديده من مؤلفات ابن رشد وقدمها لامبراطور المانيا سنه ١٢٣٢ . ومن هؤلاء الكتاب ايضا يهوذا بن سليمان بن كوهين الطليطلى الف سنه ١٢٤٧ كتابا سماه طلب الحكمة اعتمد فيه على فلسفة ابن رشد وتعاليمه. اما سبب محبة هذا الامبراطور للفلسفة العربية وسعيه المتواصل فى نشرها وغمر المشتغلين بترجمتها بالنعم والعطايا الجزيلة حقده على تعاليم الدين المسيحى وعلى المشتغلين بنشره فان اصوله لم تبن على اساس صحيح يلائم الفطرة ويؤاخى بين المنطق والعقل . ومازال العلماء يشتغلون بالترجمة والتلخيص حتى انه ماانتصف القرن الثالث عشر الاوأ كثر كتب ابن رشد الفلسفية مترجمة باللغة اللاتينية

ولما انتشرت فلسفة العرب فى اوربا وخضعت لسلطانها القلوب ودانت لها العقول قام لمحاربتها رجال الدين ننشروا المنشورات العديدة يحثون الناس فيها على عدم الخوض فى الفلسفة العربية والانكباب على دراستها وتحصيلها ولما لم يجد نصحهم نفعا ولم ينتج فائدة بل كانت سببا فى توجه انظار الناس الى تلك الفلسفة التى يعادونها ويحاربون نشرها ودراستها وضعوا عقوبات شديدة لمن لم يصغ لقولهم ويصخ لدعائهم ولكن انى لهم ذلك وقد اشربت القلوب حب العرب وتعاليمهم. ولما رأى ان طريقهم هذه جعلت الناس يقبلون لى درس الفلسفة العربية وتعليمها

قام نفر من علماء اللاهوت واشتغل بالفلسفة العربية بغية ان يتخذمنها معاول ينقض بها اركانها ويدك اساسها فقام من بين اولئك اللاهوتيين غليوم دوفرن فحمل على فلاسفة العرب حملة منكرة واخذ يرمى فلاسفتهم بانواع السباب وضروب الشتائم والقذف اذ كان نصيب ابى على بن سينا من هذا السفه اكثر من غيره غير ان هذا الرجل وان قذف فلاسفة العرب بقذف كان يجزل الثناء والمدح على ابن رشد فانه كان يقول ان ابن رشد هو الفيلسوف العاقل الرزين وان تعاليمه التى ذاعت شوهها تلاميذه . ولمامات غليوم دوفرن قام بعده البير الكبير وكان هذا على عكس غليوم فانه كان المحب الاوحد لديه من فلاسفة العرب هو ابن سينا اما عدوه الالدوخصمه العنيد فهو ابوالوليد بن رشد فكان كلما جرى ذكره على لسانه رماه بانواع الفحش والسباب من جراء مخالفته لابن سينا فى بعض المسائل ورده عليه فى كثير من اصول الفلسفة

وبعد موت البير الكبير قام استاذ اللاهوتيين الاكبر وشيخهم الاعظم القديس توما فخر الكنيسة الغربية . قام هذا العالم الكبير واشتغل بفلسفة ارسطو نفسها واستخرج حسب ماوصل اليه اجتهاده اصولا هدم بها اساس الفلسفة العربية والمسائل التى تصدى للرد فيها على العرب هى ازلية المادة . ارتباط المبادىء الاولى التى صدر العالم عنها . استحالة الخلق بلا واسطة. النمو والتولد هذه هى المسائل التى هدمها القديس توما لانها فى نظره اساس الفلسفة وركنها . ولقد انكر القديس توما على ابن رشد رايه فى اتصال العقل الفاعل بالعقل المنفعل واتصال العقل المفارق بالانسان فقال اننا لانعقل شيئا الابعد انعكاس صورته فى الاذهان لذلك يستحيل على المادة ادراك العقل المفارق لها ولقد وجدت هذه الاقوال قبولا من كثير من تلاميذه غير ان فريقا آخر لم يتأثر بتلك الاقوال السفسطائية بل خالف رأى استاذه وبقى على رأى ابن رشد

وان من يلاحظ الوقت الذى كان فيه القديس ذلك الوقت الذى كثر فيه اعداء العرب والناقمون على تعاليمهم وفلسفتهم يرى من السهل جدا قيام الكثيرين لنصرة القديس توما وموافقتهم لكل مايراه ان حقا او باطلا مادام يتعلق بهدم فلسفة العرب ونقض اساس تعاليمهم . ولقد تركت مباحث القديس توما اثرا له كبيرا فى الكنائس اللاهوتية حتى انه لمامات صوروه بصورة المنتصر على كل الفلاسفة الذين تقدموه اما الصورة فتمثل فى اعلاها القوة الالهية تحيط بها الملائكة

ومنها ينعكس النور على مدهى والانجيليين الاربعة والرسول بولس وجميع هؤلاء واقفون فى السحاب وتحت السحاب صورة القديس توما تنعكس على وجهه تلك الانوار ثلاثة اشعة خاصة صادرة اليه من العزة الالهية نفسها

وفى جانبى الصورة بحذاء كتف القديس توما رجلان يمثلان ارسطو وافلاطون فى يد كل منهما كتاب يخرج منه شعاع من النور ينعكس على راس القديس توما وتحت قدميه علماء الكنيسه الذين سبقوه تنعكس عليهم اشعة النور المنبعثة من كتبه الموضوعة فوق ركبتيه ومن هذه الاشعة شعاع يصيب ابن رشد ساقطا على الارض هو وفلاسفة العرب دلالة على ان القديس توما انتصر عليهم جميعا . ولممات القديس توما ترك الفلسفة اللاهوتية قوة كثيرة الاتباع غير ان الفلسفة العربية كانت اقوى منها وانصارها اكثر لان القديس توما لولا ما احاطت به من الظروف ولولا الاساليب الخلوبة التى كان يتبعها لتأييد آراء وهدم مذاهب خصومه ما اشتهر هذه الشهرة وماقدسته الكنيسة هذا التقديس

وبعد موت القديس توما اخذت الفلسفة العربية والفلسفه اللاهوتية ادوارا مختلفة فترة يكون النصر لعلماء اللاهوت واخرى للعرب وبعد ان جاء انصار الفلسفة الحديثة وضعوا نظرياتهم المبنية على التجارب والمشاهدات لا على الظن والتخمين ومن ذلك الحين لم تنهض الفلسفة لانها لم تستطع الظهور امام هذه القوة الجديدة

حافظ وهبه

أسئلة واجوبتها

رؤية المخطوبة قبل الزواج

سؤال — سيدى اطلعت فى العدد الرابع من الهداية على سؤال فى رؤية المخطوبة وقد كان الجواب ان الشرع يبيح ذلك واستشهدتم على ذلك بما تيسر من الاحاديث الصحيحة فمن لى ببعض اسئلة حول هذا الموضوع .

اولا — كيف تكون هذه المقابلة وعلى اى شكل يكون النظر وهل لم يوجد نص فى الحديث او غيره يبين لنا ذلك وهل يحسن ذلك فى هذا العصر الذى كثرت فيه المفاسد والخبائث ،

ثانياً — هل تكفى هذه الزيارة وهذا النظر للفحص عما استكن من اخلاق

تلك المخطوبة التى بهذه الزيارة ستكون امرأة الحياة كلها مع ان العروس قد تكون على عكس ذلك . ولا يخفى ما يحدث ذلك فى المستقبل من الشقاق وحينذاك كان النظر لفراق الزوجين لا لالتقائهما وناهيك بما تعمله المسلمات اليوم من محاكاة الافرنج حتى لقد اصبحن اكثر منهن تبرجا وحبا لهذه الاعمال التى اسقطت من قيمة النساء المسلمات بين العالم .

ومن الجائز ان المخطوبة تعرض على نفر فتقبل وتعرض على عشرات الشبان فلا تقبل . وقد يتخذ الشبان ذلك ذريعة يتوصلون بها الى الفتيات وعلى كلتا الحالتين تفسد بذلك اخلاق الشبان والفتيات ،

ثالثا — ان تلك المخطوبة ستكون مضغة فى افواه الناس فى الاسواق والبيوت وتعلمون ما يترتب على ذلك من تسوىء سمعتها وكساد سوقها . ارجو الاجابة ولكم الشكر (١)

الجواب — لا جرم ان ما ذكرتموه من عدم كفاية النظر الى المخطوبة فى سبيل التحقق من اخلاقها وتعرف اطوارها واحوالها امر لا امراء فيه فان ذلك مالا يمكن معرفته بالنظرات بل ولا بالعشرة القليلة ولهذا نجد الامم التى تبيح معاشرة المتزاوجين قبل عقد الزواج كأهل اوربا وامريقا يتخادعون فى تلك المدة حتى انه ليكون فى الزوج او الزوجة من الاخلاق والاطوار والعيوب ما يقع الامعان فى كتمانه وستره حتى لا يكاد يظهر له أثر الا بعد البناء بالفعل

اذا فلمعرفة احوال الزوجة وعيوبها الخلقية طريق واحد هو استنصاح من يتيسر لهن مخالطة المخطوبة من النساء اللاتى لا يبغين سوى الصدق وقول الحق فلا يكن ممن يملن اليها فيفرطن فى الثناء والاطراء ولا ممن يبغضنها فيقصرن فى وصف حقيقتها ظلما وحسدا .

اما ان النساء اليوم يكثرن من التطرية والتزويق والتحلية فهذا امر مسلم ايضا فلقد بلغ بالنساء الافراط فى ذلك حدا اصبح فيه الغش والتغرير من اقرب النتائج ولكن للنظرات الصادقة غير الطائشة قدرة على مغالبة تلك التمويهات والتغلغل خلال تلك الحجب حتى تبلغ الحقيقة او تكاد .

على ان فى النظر الى المخطوبة معنى آخر غير معرفة مبلغ الجمال وهو معرفة

(١) السائل محمد افندى فهمى القولى

مابين المترائيين من تشاكل الارواح او تناكرها فان الارواح كما فى الحديث الشريف جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

ليس معيار ما يكون بين المتزاوجين من الالفة او الاختلاف هو مافى الزوجة من الجمال او القبح وانما معياره ما يكون بين الارواح من التعارف او التناكر ومما لا ريب فيه ان تعارف الارواح او تناكرها لا يعرف الا من طريق النظر ووقوع البصر على البصر وهذا سر قوله عليه السلام (هلا رأيتها فانه احرى ان يؤدم بينكما) ودليلنا على ما قررنا هنا انه كم من شوهاء نالت من الحظوة والمكانة عند زوجها مالم تنله الجميلة الوجه الممشوقة القد الكيسة الظريفة . وكم من زوجة جميلة احبت زوجها حتى لا يكاد يعدله على قبح خلقته من هو احسن منه وجها واقوم قدا . اذا فسر الترغيب فى النظر الى المخطوبة هو هذا الذى ذكرنا وبما ان هذا الزمن عرف بفساد اخلاق اهله ذكورا واناثا يحسن ان يحتاط فى ذلك جد الاحتياط فلا تباح نظرة الرجل لمخطوبته الا بعد ان يكثر من استيصافها فيحصل من ذلك على ما يحدث فى نفسه الطمأنينه لها والرغبة فى معاشرتها . عند ذلك يحسن النظر اليها ما دامت الرغبة صادقة والنية حسنه ، فاذا ما دلت النظرات على عدم تشاكل فى الارواح فخير لهما ان يفترقا بمعروف واحسان كما التقيا كذلك . اما اذا خيف من الخاطب الا يكون صادقا حسن النية فلا يجوز تمكينه من رؤية مخطوبته . على ان الفاسدين المفسدين من اهل هذا العصر لا يتوقفون فى ايذاء الحرائر وتسوية سمعة البيوت الكريمة على مخالطة او رؤية فانهم يلتقطون اخبار البنات من افواه اقربائهم اوغير اقربائهم ثم يجعلونهن فكاهات سمرهم وموضوع احاديثهم فأمثال هؤلاء الضالين المؤذين لا يمكن التباعد عن شرهم واذاهم الا بهجرانهم والصبر عليهم حتى تقوم حكومات اسلامية تعرف كيف تربى الاخلاق وتضع من الزواجر ما يصلح شئوننا الاجتماعية .

وبالجملة فان للنظر الى المخطوبة حكمة عرفتها ولكن ليس معنى هذا التساهل فى ذلك بل يجب اتخاذ الحيطة جهد الاستطاعه

وقد كان من علماء الاسلام من يدعو الخاطب الى منزله بعد التحقق من صدق الرغبة وحسن النية ثم يطلب ابنته المخطوبة لتسقى الضيف شيئا من القهوة ثم يأمرها فتجلس فى حضرة خاطبها ووالدها زمنا ما . ونحن نرى ان هذا القدر كاف واف بالغرض الذى شرع له النظر

الاحاديث

الموضوعة فى تقويم

ديوان الاوقاف

طبعت الاوقاف المصريه تقويما صدرت كل يوم من ايامه بحكمة وعظة ولكن واضعى هذا التقويم لم يكتفوا بمجرد ذكر هذه الحكم والمواعظ بل عزوها الى الحضرة النبوية وماهى من الحديث فى شئ لذلك تصدى الاستاذ الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الازهر لبيان الحقيقة فى تلك المأثورات حرصا على الدين وغيرة على حديث سيد المرسلين

وقد اطلعنا فى جريدة الشعب على بعض مانشره الاستاذ الشيخ شاكر فى ذلك فاحببنا تسجيله فى الهداية لمتانته وحصافة . قال الاستاذ

نشر المؤيد فى محلياته من العدد ٦٩٥٧ الصادر يوم الخميس ٣ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ — ١٠ ابريل سنة ١٩١٣ مذكرة رفعها حضرة محمد بك المويلحى لسعادة مدير الاوقاف جمعت خلاصة مادار بينى وبين ديوان الاوقاف من المكاتبات فى شأن الاحاديث الموضوعة فى التقويم التى توخى سعادة الشيخ على يوسف مؤسس المؤيد وشيخ سجادة السادة الوفائية ان يتكلم عنها كل يوم فى المؤيد وقد علق على هذه المذكرة ماشاء ان يعلق وطلب الى هذا العبد الضعيف فى خاتمة تعليقه ان يناقش الموضوع مناقشة المحدث المحقق افادة لقراء المؤيد وطلبا لاظهار الحقيقة ليس الا

فنحن نجيبه الى ما طلب ونعتب عليه انه تسرع فى الحكم بصحة نسبة هذه الاحاديث الى الكتب التى اسندت اليها اعتمادا على مذكرة المويلحى بك ولوتلبث حتى يعلم نصيب هذه المذكرة من الصحة لانصف الحق والحقيقة واحسن الى رجل يحسبه فى جملة اصدقائه

كتبت الى الاوقاف بعد ما اجابنى بان احاديث التقويم منقولة عن الجامع الصغير والجامع الكبير للسيوطى والنوافح العطرة فى الاحاديث المشتهرة والحكم والاحكام انبهه بان للتحقق من صحة هذه النسبة اخذت تقويما فرتبته على حروف الهجاء لمراجعة احاديثه فى الكتب المذكورة وقد انجزت منها حرف الالف والباء والتاء

فكان مجموعها مائة حديث وعشرة . منها اثنان وخمسون اكثرها لم اقف عليه فى شئ من هذه الكتب وبعضها موجود بلفظ مخالف للموضوع فى التقويم وارسلت الى الديوان نسخة تلك الاحاديث واعدا بذكر ما يظهر فى بقية الحروف (وسأفعل ان شاء الله) وطالبت المويلحى بك ان يبرئ نفسه من تهمة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان المواضع التى اخذ منها هذه الاحاديث وماذا عسى ان يفعل من احيل الى كتاب للتحقق من صحة النقل فلم يجد طلبته فيه الا ان يطلب من الناقل تبرئة نفسه ببيان مواضع نقله

اعاد الديوان الى نسخة الاحاديث ومعها مذكرة من المويلحى بك وامام كل حديث ماخذه من تلك الكتب بنمرة الصحيفة التى هو فيها

ولو نشر المؤيد المذكرة وتعليقه عليها لما ترددت فى اجابة سعادة مدير الاوقاف الى طلبه غلق هذا الباب منعا للتشويش الذى يحصل ولجعلت جوابى عن المذكرة خاصا بسعادته كما فعلت قبل ذلك

يقول المويلحى بك انه والى الاحاديث وامام كل حديث ماخذه من تلك الكتب بنمرة الصحيفة التى هو فيها ولكنى مع ذلك أقول له ان من بين الاثنين والخمسين حديثا أربعة وثلاثين حديثا لاتوجد فى الجامع الصغير ولا الكبير ولا النوافح العطرة ولا فى الحكم والا حكام وباقيها موجود بلفظ مخالف للموجود فى التقويم بالرغم عن الصحائف التى أشار اليها

يوجد فى الكتبخانة الخديوية فى فن الحديث تحت نمرة ٥٢٢ كتاب النوافح العطرة وهو مرتب على حروف المعجم وينتهى حرف الباء منه بصحيفة ١٢٨ وتبتدئ صحيفة ٢٢٩ بالبسملة ثم مانصه ومما ورد من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرف الالف بلفظ الامر خطاب المفرد اذكر تغنم اكفف تسلم ارحم ترحم الخ (وقد نبهت الكتبخانة على ذلك فى الفهرست المطبوع صحيفة ٤٠٤ جزء اول) وهذه المنشورات لايعرف لها مؤلف ولايحل لرجل يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا منها قبل التثبت من صحة نسبته اليه بمراجعته فى الكتب الموثوق بمؤلفها فهذه الاربعة والثلاثون حديثا التى ذكر المويلحى بك انها موجودة فى النوافح العطرة انما هى من هذه المنشورات التى لايعتد بها محدث ولا غير محدث

ولو أتعب المويلحى بك نفسه وراجع الفهرست المطبوع للكتبخانة لما سقط

هذه السقطة ولوانعم النظر قليلا لادرك الفرق بين هذه المنشورات وبين النوافح العطرة التى التزم مؤلفها فى مقدمتها ان يذكر ماخذ كل حديث وانه صحيح او ضعيف اوموضوع (وهنا يحسن ان استعطف سعادة الشيخ على يوسف لان يتنازل ويزور الكتبخانة الخديوية ليطلع بنفسه على النوافح العطرة وما الحق بها فظنه المويلحى بك من جملتها)

وحسبنا هذا برهانا على ان واضع احاديث التقويم حاطب ليل وان احاديث التقويم لايوثق بشئ منها الا بعد الاطلاع عليه فى كتب السنة وان نشرها بين عامة المسلمين على هذه الصفة ضرره اكثر من نفعه

هذا مايتعلق بتصحيح النسبة الى الكتب الاربعة فى احاديث حروف الالف والباء والتاء ولو ناقشنا تلك الكتب مناقشة المحدث المحقق كما يريد المؤيد لقلنا ان المسند من هذه الاحاديث لايبلغ الثلاثين والصحيح منها لايبلغ العشرة و اكثر العشرين صرح ائمة الحديث بضعفه أما الثمانون الباقية وهى المنقولة من كتاب الحكم والحكام والمنشورات التى حسبها المويلحى بك من النوافح العطرة فمقطعة الاسناد لاتقوم لها قائمة عند عامة المحدثين ولايستبيحون لاحد أن يسندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (حديث شريف) قبل الاطلاع على طريق اسنادها ومبلغه من الثقة والامن وحتى يكون القراء على بينة من ذلك يحسن أن أرجع بهم الى المكاتبات الاولى التى دارت بينى وبين الاوقاف ليكون ما أضمه اليها فى هذه الرسالة بمثابة التكميل والايضاح

تقويم ديوان الاوقاف بمصر

وضع ديوان الاوقاف بمصر تقويما للعام الهجرى الحالى وصدر كل يوم بحديث زعم انه من الاحاديث النبويه وقد شغف صاحب السيادة والسعادة الشيخ على يوسف بهذه الاحاديث فجعل يخوض كل يوم فى شرحها وبيان مغازيها ولقد كنا نرجوا الا يتعرض لها لما يعلمه هو من جهله بالاحاديث ومرتباتها ولكنه فتن بما فيها من المعانى فجعل يصدر بها كل يوم ما يصدر من المؤيد مفرقا فى شرحها ولكن رقباء الشريعة وحماتها لم يتركوه مستمرا فى طريقه هذا بل نشروا فى الجرائد ما فيه بلاغ للعاقلين

ومن ذلك ما نشرته جريدة الشعب لوكيل الازهر فى مصر ننشره هنا تعميما للفائدة وهذا نصه

الاحاديث الموضوعة فى تقويم المؤيد

اعدت لديوان الاوقاف تقاويمه المطبوعة على نفقته لاشتمالها على احاديث منقولة عن كتاب الجامع الصغير والجامع الكبير للسيوطى (وكلاهما يدرس فى المساجد الشهيرة) ومن كتاب النوافح العطرة فى الاحاديث المشهورة للقاضى محمد بن احمد مجموعا من الدرر المنتثرة للسيوطى أيضا ذكر فيه طريقة اختصاره للروايات وما للحديث من الصحة والضعف ولم يأخذ فيه الا ماصح اسناده وروايته ومن كتاب الحكم والاحكام من كلام سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام للعالم الزاهد عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد ذكر فى مقدمته انه جمعه من الصحيحين ومما قرأه على حجة الاسلام الغزالى فى سنة عشرين وخمسمائة ومما رواه الامام ابو طالب المكى والقاضى ابو نصر الموصلى والامام ابو الليث السمرقندى

هذه اول فقرة من ذلك الكتاب فكان جوابى عنها انى عجبت لمن وضع احاديث التقويم لديوان الاوقاف ماله يتنكب عن الكتب المسندة المعروفة المتداولة المجردة من الاحاديث الموضوعة باجماع المحدثين الى كتب غير مسندة ولا مجردة من الموضوعات ولا معروفة ولا تكاد توجد منها نسخة صحيحة فى مكتبة خصوصيه او عمومية

أما الجامع الكبير للسيوطى فقد قسمه مؤلفه الى قسمين ولا يوجد منه فى الكتبخانة الخدوية سوى قطعة من حرف الالف من القسم الاول فقط (خلا قطعة أخرى لاتزال مبعثرة فى الدشت) فليس هو مما يدرس فى المساجد الشهيرة (كما يقول الاوقاف على ان علماء الحديث لايجهلون ان هذا الكتاب من الجوامع التى تجمع الصحيح والضعيف والموضوع

وأما النوافح العطرة فلا يوجد منه فى الكتبخانة الخديوية سوى نسخة واحدة محرفة لايعتمد عليها وقد نص مؤلفه فى مقدمة على انه لايخلو من الاحاديث الموضوعه (لا كما يقول الاوقاف انه لم يأخذ فيه الا ماصح اسناده وروايته) ومؤلفة ليس من المعروفين بصناعة التحديث وانما هو من اهل القرن الحادى عشر .

والذى أدين الله عليه ان النوافح العطرة لو كانت أصح كتاب فى الحديث ماساغ لاحد ان ينقل عن نسخة الكتبخانة الخديوية فقد بلغت من التحريف مبلغا يرفع الثقة بها ومن شاء من القراء ان يتحقق ذلك بنفسه فليذهب الى الكتبخانة وليقرأ صحيفة من الكتاب وليحكم بعد ذلك بما شاء

واما الحكم والاحكام فالموجود منه فى الكتبخانة الخديوية نسخة سقيمة لايعتمد عليها (ولا يقل تحريفها عن تحريف النوافح العطرة) ومؤلفه لم يسند مافيه من الاحاديث اسنادا يصح الاعتماد عليه عند المحدثين (على أن مؤلفه ليس من المعروفين بصناعة التحديث) وقول الاوقاف انه ذكر فى مقدمته انه جمعه من الصحيحين ومما قراه على حجة الاسلام الغزالى فى سنة عشرين وخمسمائة لايرفعه الى درجة الثقة اذ لم يسند الى الصحيحين حجة الاسلام الغزالى فى جلالة قدره لم تسلم كتبه كالاحياء من الاحاديث الموضوعه . فما قرئ عليه لايكون أرفع قدرا مما خطه بيمينه . يعرف ذلك اهل النقد من المحدثين وقد استوعبت تفاصيل ذلك كتب التخريج فلا نطيل بذكره

هذا وقد أثبت التاريخ ان وفاة حجة الاسلام الغزالى كانت فى سنة خمس وخمسمائة وجملة القول ان كتاب الحكم والاحكام لا يعد من كتب الحديث فى شئ ولا تصح نسبة شئ منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الجزم فيقال (حديث شريف) الا بعد التثبت من اسناده

فلم يبق الا الجامع الصغير للسيوطى وهذا قد عنى بشرحه الفضلاء وبينوا ما يصح قبوله وما يجب رده

ثم قال الاوقاف فى جوابه والذى ينقل الاحاديث عن مثل هذه الكتب المتداولة منذ الاعصر الماضية وينشرها لتهذيب الاخلاق لا يقال عنه انه تعمد الكذب فان وجدتم فى احاديث التقويم حديثا مكذوبا فالتبعة فيه على واضع الكتاب لا على الناقل من كتب هؤلاء الائمه وقد اجبت على هذه الفقرة الاولى وانه ليس لواضع احاديث التقويم اذا جاء بحديث موضوع ان يلقى التبعة على المؤلفين وقد فرغ المحدثون من نقد الحديث وبينوا المقبول من المردود . يعرف ذلك اهل الحديث العاكفون على دراسته والمنقطعون لخدمة السنة الشريفة

ثم اقول اى دليل على ان كتاب الحكم والاحكام والنوافح العطرة والمنثورات التى وضعت بجانبه تداولتها الايدى منذ الاعصر الماضية وهى لايوجد منها سوى

هذه النسخة المملوءة بالتحريف ومن هو ذلك الامام الذى الف تلك المنشورات التى اشتبهت على المويلحى بك والذى الف الحكم والاحكام حتى تكون التبعة عليه لا على الناقل من كتابه كما يقول الاوقاف .

ثم قال الاوقاف فى جوابه والشرط فى مظنة صحة الحديث ان يكون مطابقا لاحكام القرآن ولمكارم الاخلاق الواردة فى الدين ولايكون منافيا باى معنى لاحكام الشريعة

فاجبته عن ذلك بان هذه مقالة لاتعرفها ولايقول بها احد من المحدثين فكم وضع الوضاعون احاديث مطابقة لاحكام القران ومكارم الاخلاق ونسبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ عمل هذه الحجة فردها الحفاظ واهل النقد من المحدثين لا لعلة سوى الطعن على الراوى واتهامه بالكذب فليتق الله من عهد اليه اختيار احاديث مكارم الاخلاق أن يقع فى الاحاديث الموضوعة فيضل الناس بغير علم

ومن هذا البيان تعرف قيمة الكتب التى اعتمد عليها واضع أحاديث التقوم ولذلك أرى ان على ديوان الاوقاف بعد علمه بحال الاحاديث الموضوعة فى تقويمه ان يأمر بنزعها من المساجد وجمعها من أيدى الناس .

فقد طبعت نظارة المعارف منذ اعوام القرآن الكريم فظهر فى الطبعة بعض التحريف ولما نبهت لذلك امرت بجمعه وردت الى الناس أثمان ما اخذوه من نسخه الشريفة . والله الهادى الى سواء السبيل .

٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

وكيل الجامع الازهر

محمد شاكر

الادب

فى القرن التاسع عشر

للفاضل كامل افندى حجاج

عبدالله افندى نديم

صحافى شهير وكاتب اخلاقى اجتماعى طويل الباع فى الخطابه . وكان اذا اقترح عليه اى موضوع فى محفل من المحافل قام بين الناس خطيبا مرتجلا طلق اللسان فصيح الالقاء سريع الخاطر مستمرا فى خطابته ساعتين او ثلاثا دون ان يتلعثم لسانه . وهو الذى انشأ مجلة « الاستاذ » و « الطائف » و « التنكيت والتبكيت » وفضلا عن نبوغه فى النثر فانه مهر فى المجون والازجال والمواليا وصحيفته الأخيرة حافلة بهذا النوع وكان يعقب الموضوع الهزلى بالتبكيت والموعظة الحسنه .

ومن جيد مقالاته التى امكننى العثور عليها « بمن اقتدى اذا اختلفت الآراء » و « هذه يدى فى يد من اضعها » و « حرب الأقلام بجيوش الأوهام » . ولنذكر قطعة من مقالته الأولى لنقف على أسلوبه .

اقتد بمن اذا اسبغت عليك النعم كان مهنئاً معك واذا نزلت بك مصيبة كان لك معزيا فان اخلاص النصح من غيره لايتأتى الا اذا عاد لبطن امه وولد مرة ثانية فى ارض مس ترابها جسمك وليدا وخدمت فى اصلاحها شبابا ودبرت شأنها شيخا وكيف يقتدى العاقل بنازح عن دياره وقد لطفت هواء وعذبت ماء . وطابت مقرا . وكثرت خصبا . فلم يرض بما رضى به اباؤه . واستهجن ما استحسنه اجداده وقطع رحما يجب صلتها عليه . »

وله رساله ضمن غالبها بالآيات القرآنيه اولها :

« لاحول ولاقوة الابالله . اشتبه المراقب باللاه واستبدل الحلو بالمر وبيع الدر بالخزف والخزف بالخسف والطهر كل اثيم كبره ان فى ذلك لعبره .

محمود افندى صفوت الساعاتى

ولد هذا الشاعر المجيد بالقاهره سنه ١٢٤١ وانتقل الى الأسكندريه مع ابيه وهو فى الثانية عشرة ثم عن له حينما بلغ العشرين أن يحج البيت الحرام وهناك التحق بأمير مكة الشريف محمد بن عون فكان له سميرا ومادحا لايفارقه فى حله وترحاله وغزواته ولما عزل الشريف هاجر معه الى مصر ثم سافر الى الأستانة

بعيته وفى عام منه ١٢٦٨ آب الى القاهرة وانتظم فى سلك المعية الكتخدائية زمناما ثم تعين بمعية الخديوى سعيد باشا ثم تقلب فى عدة وظائف الى أن عين اخيرا عضوا فى مجلس احكام الجيزه والقليوبيه وتوفى سنة ١٢٩٨ .

كان من فحول الشعراء المطبوعين رقيقاً حسن الذوق غزير المادة متوقد الذكاء نبغ فى عصر كاد الشعر فيه ان يندرس فهذبه واعلى شأنه فى مصر والحجاز وبزغ فى سماء التقريض شمسا مشرقة استنار بها كل من عالج هذه الصناعة من مواطنيه .

ومن آيات بلاغته قصيدته الهمزية وبها نفحات عظيمة فى الفخر واولها .

رقت لرقة حالتى ــ الاهواء … وحنت على البانة الهيفاء
وبكى الغمام على من أسف ــ وقد … كادت تمزق طوقها الورقاء
ماذا تريد الحادثات من امرئ … من جنده الشعراء والأمراء
دعها تمد كما تريد شباكها (١) … فلربما علقت ــ بها العنقاء
انا ذلك الصل الذى عن نابه … تلوى المنون وتلتوى الرقطاء
وفمى هو القوس الأرن ومقولى الـ … وتر الشديد واسهمى الأنشاء
فكر ينظم فى البديع ــ فرائدا … من دونها ما تلفظ الدأماء

وله من قصيده دالية مطلعها

دعينى فما فى الأمر غير التوعد … فحتى متى ادمان هذا التهدد

ومنها

الا فى سبيل المجد نفس عزيزة … يعز عليها ان تذل لمعتد
فمالك لاتأوين لى من صبابة … رويدك ان الحسن غير مخلد
فكونى كماشاء الوشاة وصدقى … زخارفهم واصغى لقول المفند
فليست يد الهجران ــ قاتلة امرئ … يهز من السلوان ــ كل مجرد

ومنها

فلا فضحت نظم الجمان قصائدى … ولا بلغت بى رقتى كل مقصد
اذا لم اطوق مجده ــ بقلائد … بغير حلاها الدهر لم يتقلد
فرائد مدح فى سلوك مناقب … لمنفرد بالمكرمات مسود
وان لم اسير بالقوافى ركائبا … فلا قيدت شعرى محابر منشد

الشيخ احمد عبدالرحيم

ولد بطهطا ١٢٣٣ وتلقى العلوم العقليــة والنقلية بالازهر ثم عين مدسا للنحو والصرف بالمدرسة التجهيزية فالمهندسخانه فالحربية ثم اسندت اليه اخيراً

(١) الهدايه : لا ندرى كيف يلتئم البيتان اول القصيدة ومابعدها ؟

رياسة تحرير الوقائع المصريه اشتغل بالاداب والنظم والنثر وله مؤلفات منها « منظومة فى الصرف » « ونهاية القصد والتوسل فى فهم قولة لدور والتسلسل » ورسالة فى « فنى العروض والقوافى وجملة رسائل نحوية اخصرها النقطة الذهبية فى علم العربية » وديوان مدائح نبوية لم يطبع مرتب على حروف المعجم سماه « در الشرق المنظم فى مدح النبي الاعظم » وكل قصيدة منه زهاء خمسين بيتاً . وله قصائد ومقطعات عديدة جيدة منها ما كتبه لاحمد افندى فارس صاحب الجوائب بالاستانة فى ذيل رساله .

يا أيها البحر قد اهديتنى دررا … ياليت شعرى ماذا اليوم اهديكا
اخلاقك الغر مثل الشمس ظاهرة … فانت فى غنية عن وصف مطريكا
اجمال مدحك لا ارضى به ــ واذا … فصلت اخشى قصورا ليس يرضيكا
فانما هو راح لست آمن من … اكثارها نشوة تنسى ــ معاليكا
انت الخضم لعلم ــ لامراء به … فكنه للحلم وامنحنى تغاضيكا

وقال ــ . يقول محرر الوقائع لما رأيت اللآلى من البحر . وقلادتها لاتليق الا بذلك النحر زاوجته قصيدة مؤلف الجوائب فيه محافظا فيها على غر قوافيه فانصرف معناها اليه وصار مقصورا عليه فحق لها ان تختال به فى حليتها ولو كانت بنت ليلتها . تجد اليها السرى . وهذا كاترى :

علم الهوى لم يبق فى بقية … فارادنى بابى وقال هدية
اهدى الى عبدالرحيم تحية … غراء يصحبها الثناء الطيب
كم لى تقول امدحه مدحا ــ باهرا … وارصد لحليته النجوم مساهرا
هبنى اجيد ــ المدح لكن زاهرا … ت صفاته كالزهر ليست تحسب

والقصيدة تبلغ ثمانية وثلاثين بيتا .

(١) الهداية : ان منزلة هذا الشعر ليست بالرفيعة لراقية ولقد يكثر فيه مع ذلك الحشو

مظالم البلقان

التقرير العاشر

دخل الصرب قصبة قوادار مركز قضاً تيكوش التابع الى سلانيك فى ٢٣ تشرين الاول وكان قد سبقهم اليها عصابة بلغارية ومتى قيل عصابه يجب ان يفهم انها جماعة متوحشون يرتكبون جرائم القتل والنهب ونسف المبانى بالمدمرات وسائر انواع الفظائع منذ سنين عديده واكثر العصابات التى اشتهرت بالاعمال الهمجيه التى يعجز الفكر عن تصورها فى الحرب الحاضره هى العصابات البلغاريه ولكن حيث العصابة المذكورة اعلاه كانت تحت مراقبة الجنود الصربيه ماتمكنت من اتيان جميع ماتوحيها اليه ضمائرها الشريره من القتل والسلب ولذا عدلت الى حيلة اقنعت بها ضباط الصرب للموافقة على اجرأ المذابح وها ندرج بعدما وقع فى قصبة قوادار المذكورة من المظالم :

ذهب رجال عصابة البلغار بنفر صربى ليلة عيد الاضحى الى بيت حسين اغا فى محلة بالا لاجل يتعهد بتدارك العلف اللازم لحيوانات الجند فما كان الا ان قتلوا النفر الصربى المرقوم واسرعوا الى ضباط الصرب واخبروهم ان الاسلام ثاروا مسلحين وبدأوا يقتلون النصارى وقد قتلوا حتى جندياً صربياً امام بيت للمسلمين فامر حينذاك الضباط رجالهم بان يطوفوا البلدة ويقتلوا كل من صادفوه من المسلمين وبذلك وجد رجال العصابة ضالتهم وتحققت امنيتهم فهجموا مع العسكر الصربى على المسلمين الذين لم يكونوا يحسبون ماخبأ لهم القدر واعملوا فى القتل والنهب يومين كاملين قتل فى خلالهما قدر ١٨٠ رجلاً وهكذا كان المسلمون ضحية فى عيدهم لامضحين. وقائمقام قضاء تيكوش الذى شاهد عياناً هذه الفظائع نقل لنا انه رأى بعينه عسكر الصرب ورجال العصابه يسحبون رجلاً هرماً مسلماً يدعى محمد على افندى بحجة ايصاله الى المحكمة ثم قتلوه بالرصاص امام عائلته وفى نفس الشارع قتلوا شابا يدعى على وهو الولد الوحيد لوالدته العجوز. وكان عدد القتلى فى المحلة التى كان يسكنها القائمقام المومى اليه ١٢ رجلاً واما النهب والتسلط على الاعراض كان وقع بالمطلع مايكون قبل الابتدار بالقتل بحجة التفتيش على السلاح كما هى العاده لانه ماتخلص عرض امرأة او بنت من الهتك ولامخزن او بيت من النهب .



كيف يمثل الصليبيون بنساء المسلمين

وقد ذكرنا الحادث الآتية خصوصاً من بين مئات من الفظائع التى وقعت :

دخل بعض الجنود الصربيين الى بيت صادق بك حاكم درينوا وربطوه وتجاوزوا الى عرض زوجته وشقيقتها السكينتين امام عينه وبعد ذلك نهبوا جميع مافى البيت وقد فاق الضباط الصربيون افراد العساكر ورجال العصابات البلغار فى ارتكاب الدناءة والفظائع فانهم عرفوا قد عشرين بيتا يسكنها نساء وبنات جميلات وفى المساء دخلوا عنوة تلك البيوت وهتكوا اعراض النساء والبنات اللاتى فيها .

وبلغنا ايضاً انهم اذاقوا قائمقام تيكوش انواع العذاب والاهانه .



ضابط عثمانى مثل به العدو وثم ارسله الى المعسكر العثمانى بشتاجه

فى ملحقات تيكوش

كانت المذابح والرفات فى ملحقات تيكوش اكثر منها فى قوادار مركز القضا وبعد احتلال القضا بيومين شكل الاهالى البلغار فى مزرعة تريستويك عصابة وذهبوا الى مزرعة حسين كهيا وقتلوا وكيله وفى الساعة التاسعه من ذات اليوم وقتلوا المزارع ابراهيم احد مهاجرى البوسنه والهرسك بالحراب مع زوجته ووالدته وولديه الصغيرين ثم حرقوا جثثهم بالغاز . وقد رموا حياً فى التاسعه من عمره يدعى ابراهيم فى النار التى احرقوا بها جثث المذكورين ولكن من هول الموت تمكن من التخلص من النار واسرع فاراً من ايدى هؤلاء البرابره .

والذى نقل لنا هذه الفاجعه رجل مسيحى يدعى ميلكوف من قرية روشدان وقد شاهد ذلك بعينه

فى سيرقوا

سيرقوا قرية تحتوى على ٢٢٠ بيتاً . ذبح فيها ٢٨ رجلاً من جملتهم بشار آغا الذى فى سن السبعين وولده حسن و آخر يدعى صفر شاوش واخوه محمد وقد امر الصرب المسلمين بالخروج من بيوتهم مع عائلاتهم وطردوهم الى خارج القريه حيث ربطوا الرجال وقتلوهم بالحراب وهتكوا اعراض النسا وسلبوا جميع ماعليهن واثناء ذلك كانت البيوت تنهب من جهة اخرى .

فى بهوله

بهوله قرية تشتمل على ٦٥ بيتاً للمسلمين و٢٥ بيتاً للمسيحيين وبمعاونة رجال العصابات فتك مسيحيو القريه بالمسلمين ونهبوا البيوت وتفصيل ذلك انهم ساقوا جميع الاهالى المسلمين الى خارج القريه فربطوا الرجال بحبال وقتلوهم بصورة فضيعة وعدد القتلى ٤٥ من جملتهم سليم شاوش واحمد آغا والعطار سليمان والمزين خليل وخليل خواجه اوغلى اما النسا فاجبرن على قبول المذهب البلغارى ووزعت النساء والبنات الجميلات على البرابرة الذين دنسو اعراضهن وحبس فى سجن قوادار تسعة من اهل الاسلام وهذه اسماهم :

حسن واخواه على وولى . عابد . احمد . ولى . سليمان . قورتيش . محمود.

وفكر البلغار المحليون ورجال العصابات فى ايجاد وسيلة لتبعيد الضابط الصربى المؤكل بحفظ المحابيس لكى يقتلوهم فارسلوا رجلين بلغاريين من قرية بكنيشه يسترحمون الضابط المذكوران يمدهما بمفرزة عسكرية لان الترك هجموا عليهم وقدلى الضابط طلبهم واسرع مع مفرزة الى قرية بكنيشة دون ان يصادف احداً من الاتراك ولماعاد راى المحابيس لا اثر لهم حيث كان البلغار قتلوهم بغيابه خارج القرية وما لحق هؤلاء الجناة ادنى عقوبة . ومثل ذلك حدثت جنايات كثيرة فى قرى روسمان وقونوبيشا ونيبوتين وتسمانيك وغيرها وقد بلغ عدد القتلى فى هذه القرى من رجال ونساء واولاد اربعمائة نفس

التقرير الحادى عشر فى قضا عورت حصار

عورت حصار قضا تابع لسلانيك ومركزه قرية كلكيش تبعد عن سلانيك ساعتين اصيب هذا القضاء باد هى مظالم البلقانيين لان قرية كلكيش كانت منذ القديم مركزاً للعصابات البلغارية ولايوجد بها سوى مائة بيت للمسلمين فكان جل اهل تلك القرية بلغاريين وفى بدأ الحرب التجأ المسلمون الى سلانيك عدا بعض اشخاص منهم بقوا فى القرية بناءً على تطمين اصحابهم من

الاهالى البلغاريين فقتل منهم اربعة عشر شخصا من جملتهم الطبيب مجيدوابنه الشاب وكانت علاقات الطبيب المومى اليه صميمية جداً مع الاهالى البلغار فبقى بالقرية مع عائلته استناداً على مواعيدهم ولكن بعد دخول البلقانيين اليها قتل شرقتله فى بادئ الامر طلبوا منه ان يسلمهم نقوده فاعطاهم ٤٠٠ ليرا عثمانيه ولكن لم يقنعوا بذلك وذبحوه امام ابيه وامه واخوته مع ولده البالغ من العمر اربعه عشر عاما وذهبت تضرعات والدى المقتول ادراج الرياح لدى هؤلاء البرابرة الذين اجابوهما بقتل الاب امام زوجته التى من شدة تأثرها جنت وتاهت فى الشوارع ساحبة ولدها بيديها .

فى ملحقات عورتحصار

كثير من القرى التابعة لهذا القضا نهبت وهدمت بيوتها ولكن ظهرت آثار الوحشيه فى بعض القرى جدا مثل قرية كركوت ورعيان حيث جمع متوحشو البلقان عامة اهالى قرية كركوت رجال ونسا ماعدا البنات الشابات فى جامع وبعد ان نهبوا مامعهم احرقوهم جميعاً وكانو يشاهدون هذا المنظر الجهنمى ويقتلون بالحراب كل من اراد التخلص من هول النار . وعدد الضحايا فى هذا الحريق ٧٦٠ نسمة . اما البنات اللواتى كان ابقى عليهن من الاحراق فيبلغ عدد هن ٦٠ بنتاً نصرت جبراً بعد هتك اعراضهن وزوج بعضهن قسراً مع بلغاريين وماتخلص من اهالى هذه القرية سوى سبعة عشر نفسا كانوا موجودين تصادفاً فى سلانيك

وهكذا فعل البرابرة فى قرية رعيان وما تخلص من اهلها الذين يبلغ عددهم الثمانماية الا العدد القليل

اما الضحايا فى القرى الاخرى فهذا بيانها :

فى قرية شيرنال ٨٠ ، فى بيكوا ٦٠ ، فى بابرات ٤٥ ، فى مارشالى ٤٥ ، فى لالوا ٢٧ ، فى ريزا ٢٠ ، فى اسماعيلى ٢٠ ، فى اريكلى ١٨ فى واكوسوزلو ١٧ فى طوغاترا ١٥ فى ويرلات وقطبلر ١٧ فى حسن اوبا ، فى بوطرش ١٤ فى قره طاغ يكى محله ١٠ ، فى سرائيلى ٢٤ فى وانيز ٩ ، فى كموشوا ٧ ، فى دور جسنلى ٨ ، فى اقشه كليسا ٥ ، فى ارنقشه ٥ ، فى عاشقلى ٣ ، فى حاجى يونس ٣ ، فى صارى كوسه ٢ ، ينى محله ٢ ، ٢ ، فى اولاحلى ٢ ، فى قره بينار ١ ، فى صارى



امرأة حامل بقروا بطنها فخرج جنينها على الرمح

كول . فى صارى طاغلى ١ ، فى يعقوبلى ١ ، فى اريوردان ١ هذا عدد القتلى الذين ام مكننا الاطلاع عليهم لكنهم اكدوا لنا انه يوجد قتلى ايضا من قرى اخرى غير انه لايمكننا استقصا ذلك فى الوقت الحاضر .

—————

يا عالم الاسلام

ننقل هنا عن الزهور البغدادية القصيدة الآتية للشاعر المجيد السيد محمد الهاشمي

يناجي بها العالم الاسلامي قال حفظه الله

تبين لك الايام ام تتجمجم (١)   حديث الاماني لو علمت مرجم (٢)
و تستعظم الايام في كل حادث   و جهلك بالايام ادهى واعظم
اطلت التمادى بالضلال و انه   سبيل الى الحرمان لو كنت تعلم
وكنت قد استضعفت للدهر حقة   ولا الخرق مرتوق ولا الحبل مبرم
هو العيش اما ان تعيش فتنثنى   عزيزا و اما ان تذل فتحرم
وانى ارى في الموت حالا تسرنى   اذا لم يكن لى في الحياة التقدم
اذا لم افز في هذه الحال بالمنى   فلا الموت يلوينى (٣) ولا السقم يؤلم
وان وطأتنى الظالمون بأخمص (٤)   فموتى شهد و السلامة علقم
دع العيش واستنجع ظبي (٥) الموت ان تجد   على العيس ذلا اسه فيه محكم
فان لم تمت ترجع سعيدا وان تمت   تمت حيث لا تشقى ولا تتندم
ولا مأتم مثل المذلة انها   هى المأتم المردى اذا قام مأتم
دعني امت حتف السيوف فانني   اخاف اذا مامت انى شتم
اذا انا لم احفظ عهود حقيقتي (٦)   فلا تبسمت لى (٧) يوم حادثة فم
الى العز نفسى تشرئب (٨) ومالها   اليه سوى الموت المفجع سلم
وانى لاوطانى ودينى وسؤددى   فداء اذا ما حادث يحدم
الا ليت شعرى هل يباح لى الكرى (٩)   وفى وطنى هوج الوقائع تقصم
بقلبى هموم لو تجشمت (١٠) بعضها   عيبت واعيى ساعديك التجشم
أنى جارف الاعداء بغشى بلادنا   لامواجه حول المواطن هيقم (١١)
تألبت الاعداء طراً ليهدموا   دعائم للاسلام لا تتهشم
فيا غيرة الاسلام هذا احتياجنا   اليك وهذا المأزق المتجهم (١٢)
الى عالم الاسلام اهدى تحية   بها الحزن يطوى والمدامع تسجم
لما ذا اختلفتم والاعادى تظاهرت   عليكم ونمتم والعدى تتغمغم (١٣)
دعوا الخلف ان السيل قد بلغ الزبى (١٤)   فما الخلف الا مرتع متوخم

ارى العرب والاتراك في الدين اخوة   وما الترك الا في بنى العرب تعصم
ولا الترك مرجوح ولا العرب راجح   ولكنهم للدين كهف و معصم
وما الفرق بين العرب والترك بالذى   تشدد ما ابدى الحوادث تفصم
فيا ايها العرب الكرام تظاهروا   مع الترك ان الحق بالحق يدعم
والا فانتم للخطوب دريئة (١٥)   تروح امور الذل فيكم و تعتم
فلا الدين دين الله يبقى ولا الهدى   تؤيد دعواه ولا الملك يسلم
ولا تحسبن الشر فيهم وانكم   من الشر قوم مالكم فيه مقسم
لكم مالهم من امرهم وعليكم   من الذل ماالقى الرحال عليهم
فكونوا بناء في المصائب واحدا   اذ الدهر يبغى او اذا الشر يهجم
اليس من الخسران ان بلادنا   تصاب وانا في التباغض نوم
اترضون ان نمسى عبيداً جميعنا   لمن ليس يهدينا ومن ليس يرحم
فلا تجدعوا آنافكم باكفكم   ولاتصبحوا الذكرى لمن يتوسم
تعصب بعض القوم في الدين واتقى   سبيل العمى وهو السبيل المذمم
افى الدين ام في الحق كان تعصب   بقومية ام ذا من السوء يجم
لقد موهوا في الدين مالم يكن له   من الحق ظل او من الدين معلم
و ليس رسول الله فرق بيننا   بقومية للمسلمين تقسم
وما رجح الاسلام ممن تمسكوا   به احدا او قال هذا مقدم
و لكنه ساوى فكان كما ترى   سواء به عرب و ترك وديلم
و مازال هذا الدين في كل موضع   يسب الذى يبغى الخلاف و يشتم
منىؤكل طمر اقصعة بعد قصعة (١٦)   اذا نحن في هذا التعصب نحزم
اتغزى بلاد المسلمين وعندنا   قلوب و يجرى في مفاصلنا دم
لنا كل يوم وقعة بعد وقعة   تدق بها الآناف منا و ترغم
و تغصب منا بلدة بعد بلدة   اناس لهم في جهلهم متعوم
وتخضمنا الاعداء في كل معرك   بكل خضوع للجيوش فتقضم (١٧)
فان دام هذا الحال فالظلم دائم   على عالم الاسلام والذل ادوم
سطت ام البلقان بالملك سطوة   تمور سماء من لظاها و انجم
(ادرنة) تبكى والجحافل حولها   تزعزع من بنيانها و تقصم
(سلانيك) تشكو اليأس واليأس واقع   عليها وتشكو الظلم والظلم يؤلم
وفى (الروملى) قد انزل الخطب رحله   و اصبح فيها الظلم وهو مخيم
تضايق رحب (الروملى) وهو واسع   باشلاء جيش (الترك) فالرحب مفعم

هنالك ذل المسلمون و دمرت   بلادهم يامن من الذل يعصم
وكم قدغدى منهم خميس عرمرم(١٨)   الى الحرب يتلوه خميس عرمرم
فجاهد حتى شتت الموت شمله   وزاحم بحر الموت وهو غطمطم(١٩)
تولت بلاد المسلمين زعانف(٢٠)   تهدم من اركانها ماتهدم
لقد ملئت بالغدر منهم صدورهم   واراثهم يوم المشاكل تستم
اولئك خانوا قومهم و بلادهم   فذكرهم بالسب واللعن يختم
وقد دنسوا اعراضهم و ثيابهم   بعار لهم فى صفحة الدهر يرقم
وقدخسروا الدنيا فلاالعرض منهم   مصون ولا ما يكسبون مكرم
وقدخسروا الاخرى فليس لهم بها   رجآء اذا يرجو من العفو مجرم
الا ايها الشرق الذى طال نومه   أأنت ضعيف الكف أم انت اعسم(٢١)
الا يا رجال الشرق مابال حزمكم   يغب (٢٢) وما بال العزائم تحجم
ويا عسكر لاسلام ان خلافكم   مشوم ولكن التباغض اشأم
سلام على الاسلام يوم تفرقوا   فخارت قواهم فى الورى وتهضموا
خبت نارهم من بعدما كان نورها   به يستنير الكون والكون مظلم
وكانت مساعيهم و كانت سيوفهم   بها الجرح يؤسى اوبها الدآء يحسم
فيا غيرة الاسلام ان بلادنا   بها الناس تصلى و المنازل تضرم
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا   بها الدم يجرى اذا يبيح بها الدم
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا   تصاب ووجه العدل اربد اقتم(٢٣)
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا   تجور بها الاعدآء جوراً وتظلم
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا   بها الحق يخبو والمساجد تهدم
وتسبى نساء المسلمين وتستبى   ايامى و اطفال هناك تيتم
حرائر لم تطرق عليهن ريبة   ولم تحترق فى سبلهن محرم
و تهتك اعراض البنات تهتكا   وهتك ستور القوم للقوم مغنم
وقد اوقدت بعض البيوت باهلها   كما او قدت بالمجرمين جهنم
فيا وحدة الدين انجدينا فاننا   بساحل ليل الظلم والليل مظلم

بغداد : محمد الهاشمى

(١) الجمجمة صوت بلا معنى (٢) باطل (٣) يرجفى ويصدنى (٤) باطن القدم (٥) سيوف (٦) مايجب على ان احمية (٧) لفظت (٨) تملو وترتفع (٩) النوم (١٠) تحمنت (١١) اضطراب اصوات لامواج (١٢) المضيق المظلم (١٣) لها غوغاء (١٤) رؤس النلع (١٥) عرضة (١٦) شيئاً فشيئاً (١٧) الخضم الاكل بكل الاضراس والقضم الاكل باطرافها (١٨) جيش كبير (١٩) واسع (٢٠) اراذل (٢١) يابس الكف (٢٢) يفتر (٢٣) مغتما اغبر .

تيار الاستعمار

فى بلاد الاسلام

(٣)

فرنسا فى الجزائر ؟

لما فتح الفرنسيون مدينة الجزائر كما بيناه تفصيلا فى العدد الثالث وجدوا انفسهم فى بلاد واسعة ارجاؤها ،متنائية اطرافها اكتنفتها الجبال والهضاب من كل جانب واشتهر اهلها بالقوة وشدة البأس . لايقيمون على الذل ولا يرضون بالضيم ولم يذعنوا من قبل لحكومة ما اذعانا تاما . ولذلك ظل الفرنسيون متحصنين فى مدينة الجزائر عدة سنين يترقبون الفرص ويرسمون الخطط ليمدوا سلطانهم فى تلك البلاد الواسعة .

وقد مر بالقارىء القول فى العدد الثالث بان الانقسام الذى كان مستحكما بين الداى وبطانته والاهالى كان من الاسباب التى عجلت بسقوط مدينة الجزائر وانقراض امارتها . وقد كان الانقسام بين القبائل الداخلية ايضا من الاسباب التى ساعدت فرنسا على الايغال فى داخل البلاد . سنة الله فى كل امة تمزقها الانقسامات والاختلافات . ومن الغريب ان التاريخ مفعم بتلك العظات البالغة وخصوصا تاريخ المسلمين الذين ضاعت بسبب انقسامهم وتقاطعهم جل بلادهم وصارت فى يد اعدائهم سلما تباع وتشترى ومع ذلك لاتزال البقية الباقية المستقلة من بلادهم مهددة بذلك الخطر الداخلى ولا يعلم الا الله متى يتقى المسلمون هذا الخطر

قلنا ان الانقسام بين القبائل فى بلاد الجزائر كان من اسباب رسوخ قدم الفرنسيين فى الجهات الداخلية وذلك ان تلك القبائل لم يكن بينها اقل ارتباط او تضامن بل كانت فى الغالب متخاصمة متحاربة.وبعيد على الامة التى يتقاطع ابناؤها ان تقوى على صد هجمات الاعداء عليها مهما بلغت شجاعتها وانفتها

فبينما كانت الجنود الفرنسية تحتل مدينة الجزائر كانت القبائل البدوية الداخلية من انقسامها وتقاطعها فى شغل شاغل الى ان بدأ الفرنسيون يرسلون طلائعهم الى داخل البلاد وعلمت القبائل بعزم فرنسا على فتح بلادهم فهزتهم النعرة

(١) تابع لما نشر بالعدد الثالث صفحة ٢٣٩

الاسلامية ودعاهم وازع الدين الى الجهاد فى سبيل حمايته فقاموا يحاربون هذا العدو الاجنبى ولكن لم تكن مقاومتهم لفرنسا مقاومة عامة ذات خطة مرسومة ونظام موضوع بل كانت اشبه بمقاومة محلية فكانت كل قبيلة تقترب منها طلائع الفرنسيين تجتمع تحت لواء قائدها وتستبسل فى محاربة العدو وتشتبك معه فى معارك صغيرة او كبيرة وكانت الحروب على ذلك سجالا

وقد تمكن الفرنسيون بعد سقوط الجزائر من احتلال الثغور المهمة على البحر دون ان يجدوا منها مقاومة كبيرة ثم وجهوا قوتهم شرقا الى قسطنطينة حيث تحصن فيها الامير احمد بك واعلن فيها استقلاله بالامارة بعد سقوط امارة الجزائر وعزم على ان يقاوم الفرنسيين فيها مقاومة شديدة وكان على جانب كبير من الشجاعة فجمع قوة كبيرة وحث قومه على الجهاد وساعده على المقاومة موقع المدينة الطبيعى لانها قائمة على جبل عال يصعب الوصول اليه

فشل الفرنسيون فى حصارهم لها فى المرة الاولى وارتدوا عنها بعد ان حملتهم خسائر كبيرة ولكنهم عادوا اليها سنة ١٨٣٧ بعد ان زادوا من قوتهم واستعانوا بالمدافع الكبيرة فى حصارها فقاومت حاميتها مقاومة استبسال ولكنها لم تقو على الحصار طويلا وفتحها الفرنسيون عنوة فى تلك السنة وبذلك سقطت المدن الكبيرة فى يد الفرنسيين ولم يبق امامها الا محاربة القبائل

بعد ان سقطت مدينة الجزائر ظهر بين القبائل ذلك الرجل الكبير الذى امكنه بفضل شجاعته وعلو نفسه ان يجمع حوله الناس ويدعوهم الى الجهاد فى سبيل الله تحت زعامته وهو الامير عبدالقادر فلبى الكثيرون دعوته والتفوا حوله وكان غيورا شهما كريم النفس شديد الايمان كبير الثقة من نفسه شديد التأثير فوجدت منه القبائل الضاربة فى جهات وهران زعيما قادرا وصارت بفضله قوة كبيرة فلما افلح الامير فى دعوته اخذ يحمل على الفرنسيين حملات صادقة يرجع فى كثير منها غانما سالما ويردهم على اعقابهم بعد ان حملهم خسائر جسيمة وقد وجدت منه فرنسا خصما قويا لا تستطيع فى اول عهدها باحتلال البلاد ان تغلبه على أمره فاضطرت الى مسالمته سنة ١٨٣٧ وعقدت معه معاهدة اعترفت فيها به اميرا على وهران وجزء من مقاطعة الجزائر. ازدادت قوة الامير عبدالقادر بعد تلك المعاهدة وامتد نفوذه والتفت حوله قبائل كثيرة ولكن فرنسا امكنها ان تضم الى جانبها بعض الخونة من رؤساء القبائل المجاورة للجزائر واجتذبتهم مرة بالسياسة وأخرى

بالرشوة فاتخذتهم عيونا لها واستخدمتهم فى مناجزتها للامير واخذت تتحين الفرص لتستأنف محاربته لانها لم تعترف به اميرا على وهران الا ريثما تستعد لقتاله .
والاغرب من ذلك ان بعض المؤرخين الفرنسيين الثقات يرجعون الفضل فى التغلب على الامير عبدالقادر الى ارشادات احد مماليك باى تونس . هرب هذا المملوك من قصر سيده وعرض على فرنسا مساعدته لها فى حربها بالجزائر وقدم لها فعلا مساعدات كثيرة فانظر كيف يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين . لما اعيت فرنسا محاربة الامير عبدالقادر فى السنوات الاولى اتبعت معه طريقة جهنمية تفل بها من حده وذلك انها كانت تحرق جميع المزارع والمراعى القريبة من الجهات التى كان يرابط فيها الامير ورجاله لعلمها ان العرب لا يستطيعون البقاء والمقاومة اذا حيل بينهم وبين مزارعهم ومراعيهم وقد صبر عبدالقادر على تلك الشدة وظل يحث قومه على الاستمرار فى القتال واحتمال المكاره جهادا فى سبيل الله وبرغم تلك الطريقة التى اتبعها الفرنسيون فى محاربته كان لا يتركهم فى راحة بل ولا يألو جهدا عن مهاجمتهم فى مراكزهم وكثيرا ما اقترب فى هجماته من مدينة الجزائر .

ولكن الفرنسيين بمساعدة ذلك المملوك الخائن هاجموه على غرة فى المكان الذى كان مرابطا به وهزموه فيه سنة ١٨٤٣ فسلم فى هذه الموقعة بعض القبائل التى كانت تحارب معه اما هو فقد ابى التسليم واتجه صوب مراكش واخذ يدعو القبائل هناك الى معاضدته فى محاربة الفرنسيين اعداء الدين وارسل الى سلطان مراكش يستنجده فانجده بجمع من المقاتلة . وهنالك ارسلت فرنسا قواتها الى مراكش لتحارب جنود السلطان او يسلم الامير عبدالقادر فاشتبك الفرنسيون مع المراكشيين فى معركة اسلى سنة ١٨٤٤ وكان الفوز فيها فى جانب فرنسا وارسلت الحكومة الفرنسية اسطولا الى مياه مراكش فخرب ثغر طنجه ارهابا وتهديدا فلما رأى ذلك سلطان مراكش اتفق معها على ان لا يسمح للامير عبدالقادر بالبقاء فى الاراضى المراكشية

لم يفل ذلك من عزم الامير بل اخذ يدعو القبائل سرا الى محاربة فرنسا واختفى لهذا الغرض مدة حتى جمع قوة كبيرة من العرب واستأنف الحرب دفاعا عن استقلال بلاده . وظل ثلاث سنوات بعد اتفاق فرنسا ومراكش يحارب الفرنسيين حتى انهكت قوته واضطرته كثرة عدد اعدائه وعددهم الى التسليم . وكان ذلك

سنة ١٨٤٧ اى بعد جهاد سبعة عشر عاما اذاق فيها الفرنسيين الصاب وأتى فيها من ضروب الثبات والشجاعة ماخلد له ذكرا لا يمحوه الزمان لانه اظهر للامم مثال الاستبسال فى الدفاع عن الاستقلال ولا ريب انه وان غلب على امره جدير بان يفاخر به اهل الجزائر بل المسلمون جميعا

سياسة فرنسا فى الجزائر

من اراد ان يعرف نتائج الحكم الاوروبى فى البلاد الاسلامية فحسبه ان يتبين حالة الجزائر واهلها بعد ان مضى عليهم وهم فى حكم فرنسا ثمانون عاما لان هذا الزمن الطويل جدير بأن يظهر للملأ النتائج البعيدة للاستعمار الاوروبى فان من الاغرار من لايزالون يوهمون الناس بان الحكم الاوروبى هو حكم اصلاح وتعمير وان الخيرات الدفينة فى الشرق لا تظهر ولا يستثمرها الناس الا فى البلاد التى ترسخ فيها قدم الحكومات الاوروبية . ومنهم من يحسد بعض البلاد الاسلامية على ابتلائها بالحكم الاجنبى . . . . . . انه ليحسن بأولئك الواهمين ان ينظروا الى العواقب بدلا من ان يغتروا بالظواهر وان لايتسرعوا فى الحكم على حقيقة الاستعمار الاوروبى الا بعد ان يتبينوا نتائجه . وانا لذاكرون شيئا من نتائج هذا الاستعمار فى بلاد الجزائر لانه نموذج ماحل او سيحل بالبلاد الاخرى .

لما خلص الامر لفرنسا فى تلك البلاد وتغلبت على ذلك الخصم العنيد الامير عبد القادر وجدت نفسها امام امة وان كانت قد غلبت على امرها الا انها تحمل ضغنا شديدا على العدو المتسلط عليها . وأى امة شريفة لا تحقد على من يسلبها نعمة الاستقلال ! وجدت فرنسا ان قوة هذه الامة فى عصبية قبائلها البدوية التى كانت بفضل تلك العصبية شجا فى حلق من يحاول اذلالها لاسيما ان تلك القبائل كانت بطبيعتها تألف الحرب وتميل اليها ولذلك اخذت فرنسا تسعى فى افساد تلك العصبية ومحوها .

كان من مبادئ تلك العصبية أن لكل قبيلة رئيسا تحترمه وتطيعه واملاكا ومزارع ومراعى لا يمتلكها شخص بالذات بل كانت ملكا عاما للقبيلة . فكانت الرآسة من جهة ووحدة الملك من جهة اخرى اساس العصبية فى القبائل البدوية ولذلك كان الرؤساء بمالهم من الاحترام والمنزلة اذا دعوا قومهم الى عمل تألبوا على الاجابة واذا استنفروهم الى القتال نفروا رأت فرنسا ان هذا النظام قد يحول دون تملك تلك البلاد والتحكم فى شؤون اهلها

واموالهم وارواحهم فغيرت نظام القبيلة وابدلته بتقسيم ادارى يجعل القبيلة مقسمة الى فصائل صغيرة على كل فصيلة شيخ تعينه الحكومة وتجعله تحت رقابتها فأحلت هؤلاء المشايخ محل القواد الذين كانوا على رأس القبائل والذين كانوا عادة من نسل البيوت الكبيرة ذات المنزلة الرفيعة فى قلوب اخوانهم . فاضمحلت بذلك الرابطة التى كانت تجمع بين رجال القبائل ورؤسائهم لان الحكومة الفرنسية تعمدت الا تختار أولئك المشايخ من ذوى الحسب والنسب والجاه بل اختارتهم من الذين يظهرون لها الاخلاص والولاء . ثم تظاهرت بالمحافظة على حقوق الافراد فملكتهم بعض الاراضى التى كانت ملكا شائعا للقبيلة وصادرت الجزء الاكبر منها وبذلك حرمت القبائل من رؤسائها وصار رجالها اشتاتا لا تجمعهم كلمة رئيس ولا تؤثر فيهم منزلته بينهم ولا يضمهم ملك مشترك كما كانوا من قبل وامنت فرنسا بذلك ان لا تثور القبائل فى وجهها مهما افرطت فى سياستها الاستعمارية لان القبائل قد فقدت بهذا النظام الجديد معقد عصبيتها . ومع ذلك كانت بعض القبائل تثور من آن لآخر بسبب سوء المعاملة ولكن الحكومة الفرنسية كانت تقمع تلك الثورات بالقوة دون ان تجيب مطالب المشتكين

وتعاقبت الثورات فى تلك البلاد حتى افقرت اهلها واصيبوا فى سنه ١٨٦٧ بمجاعة شديدة هلك فيها خلق كثير

لما فسدت عصبية القبائل وضعفت شوكتها سهل على فرنسا ان تحقق اغراضها الاستعمارية فاخذت تحث المهاجرين الفرنسيين على استيطان تلك البلاد الغنية وانشأت للقادمين منهم مراكز للاستعمار فى الجهات الخصبة وكانت تلجأ الى كل الطرق الممكنة لتصادر الاهالى فى املاكهم وتعطيها المهاجرين من الفرنسيين فابتدأت باوقاف المسلمين . وذلك ان الحكومة الفرنسية اعتبرت الاوقاف من الاملاك العامة اى التى للحكومة ملكيتها دون الافراد فالحقت الاراضى الموقوفة بتلك الاملاك واتخذت لنفسها حق ادارتها وكانت الادارة لاتقف عند حد استئجار تلك الاراضى بالايجار او المزارعة بل كانت تتناول التصرف فى العين فتنازلت الحكومة عن كثير منها للمستعمرين الفرنسيين فصاروا يفدون الى البلاد بكثرة خصوصا بعد حرب السبعين ومهاجرة كثير من الفرنسيين من مقاطعتى الالزاس واللورين اللتين اخذتهما المانيا فى هذه الحرب . واخذ المستعمرون الفرنسيون يزاحمون الاهالى فى املاكهم ومزارعهم

وهناك طريقة أخرى اتبعتها الحكومة لاعطاء المستعمرين املاك الاهالى وهى انه عقب كل ثورة تنشأ من الضغط وسوء المعاملة كانت الحكومة تصادر املاك كل من تشتبه فى انهم كانوا من المشتركين فى العصيان وتعطيها للمستعمرين الفرنسيين وبذلك اخذ العنصر الاجنبى يطغى على البلاد ويخرج كثيرا من اهلها من ديارهم ومزارعهم

ولم يكن هذا كل غاية الاستعمار الفرنسى فى تلك البلاد بل ارادت فرنسا فوق ذلك ان تخلق اهل الجزائر خلقا جديدا وان تنشئهم نشأة فرنسية حتى يفقدوا شخصيتهم بعد فقدانهم عصبيتهم حتى لا يعود لهم أمل فى ان يكونوا يوما ما امة حرة ولتجد منهم عونا لها فى حروبها الاستعمارية وغير الاستعمارية

فكر البعض بادئ الرأى فى تنصير المسلمين لانهم وجدوا ان الاسلام هو الذى يقف حدا دون افناء شخصية الاهالى ولكن التجارب علمتهم ان هذا الأمل لا يتحقق . اقول (التجارب) وربما يدهش بعض القراء ان فرنسا التى تحارب الدين فى بلادها تجرب فى الجزائر تنصير المسلمين . ولكن لم آت بهذه الحقيقة من عندى وانما رأيتها عرضا فى كتاب وضعه ضابط فرنسى (١) عن سياسة فرنسا فى الجزائر . قال هذا الضابط

« لقد وقف الكردينال (لا فيجرى) حياته على تنصير المسلمين ولكنه فشل فى هذا المسعى الجليل فمن ذا الذى يجرأ من بعده على تحقيق هذا الأمل ؟ الم تر كيف ان الاطفال اللقطاء الذين كان يؤيهم الكردينال فى مجاعة سنة ١٨٦٧ ويربيهم على مبادئ النصرانية كانوا يعودون الى الاسلام بمجرد أن يبلغوا سن الرشد كأن فى اعماق قلوبهم سرا دفينا يميل بهم دائما الى دين آبائهم واجدادهم »

وجدت فرنسا ان المدرسة هى خير وسيلة لتنشئ بها اهل الجزائر نشأة جديدة ففتحت المدارس فى كل جهة واخذت تنفق عليها بسخاء وجعلت التعليم فيها باللغة الفرنسية حتى يشب الأولاد وقلوبهم متشبعة بآداب الفرنسيين . وكانت تحمل الاهالى على ادخال اولادهم فى تلك المدارس لان كثيرا من الآباء كانوا فى اول عهدهم بتلك المدارس يحجمون عن ادخال اولادهم فيها ويفضلون ارسالهم الى مدارس الزوايا حيث يتلقون فيها مبادئ الدين الحنيف فكانت الحكومة منعا لمزاحمة مدارس الزوايا للمدارس التى تنشئها تأمر باقفال المدارس الاسلامية

(١) الجزائر والاهالى المسلمون لمؤلفه الكبتين بسول

واجبار مشايخها على ارسال تلاميذهم الى مدارس الحكومة ومن برجرام مدارسها ان لا يعلم فيها الدين فكان الأولاد ولا يزالون يخرجون منها وقد تأثروا بالتربية الفرنسية خصوصا اذا دخلوا بعدها فى المدارس الثانوية واتموا التعليم الفرنسى فيخرجون وقد ضعفت فيهم عاطفة الدين وانقطعت الرابطة المعنوية التى كانت تربطهم بأهلهم وقومهم فيصبحون غرباء بين ذويهم وما كانوا يأخذون من المدنية الفرنسية الا مفاسدها وملاهيها الكثيرة وبذلك امكن لفرنسا ان تنشئ فى الجزائر جيلا جديدا من فسدة الاخلاق وضعاف الايمان ثم استخدمتهم فى حكم البلاد .

واجهازا على المدارس الاسلامية حيث كانت تعلم علوم الدين انشأت الحكومة مدارس لتخريج ائمة المساجد والقضاة الشرعيين والمفتين لتكون رقيبة على ما يدرس لهم بها وجعلت تعليم الدين فيها بمقدار وبجانبه التعليم الفرنسى الاجبارى

اثرت هذه السياسة فى الحالة الاجتماعية فى تلك البلاد تأثيرا سيئا فصار كل شئ هناك عليه مسحة الفرنسيه وصارت اللغة الفرنسية لغة ثانية للقوم فهى لغة التقاضى وهى لغة الحكومة وهى لغة التعامل وصار يحق لفرنسا ان تعتبر الجزائر جزءا متمما لها فقد صبغت تلك البلاد واهلها بالصبغة الفرنسية ولكنها لم تعطهم من مدنيتها الا المساوئ فهى تحرمهم من التربية الدينية والوطنية لانها تعلمهم منذ حداثة عهدهم بالوجود ان وطنهم فرنسا فينسى انه مسلم من بلاد واوطان مهضومة الحقوق ويظن انه صار مساويا للفرنسى ناسيا ان الفرنسيين لا ينظرون الى الجزائريين مهما بلغوا من الرقى فى العلم كما ينظرون الى اخوانهم فى الوطن بل يعتبرونهم عبيدا اذلاء محرومين من الحقوق الوطنية التى يتمتعون هم بها

يعتبر الفرنسيون اهل الجزائر (رعايا) لا مواطنين لهم فالجزائر تمثل فى مجلس النواب الفرنسى ولكن محرم على اهلها ان يكون لهم حقوق الانتخاب او حقوق النيابة وقد رأى بعض رجال الحكومة فى فرنسا قديما ان هذا لا يتفق هو ومبادئ المساواة والحرية والاخاء . . . ! لان فرنسا ممدنة الامم لا يليق بها ان تحرم شعبا تحكمه من حقوق الانتخاب والنيابة فوضعت الحكومة نظاما تخول فيه اهل الجزائر تلك الحقوق ولكن قيدته بشرط يجعل هذه الحقوق محرمة عليهم الى الأبد ماداموا مسلمين وهو التجنس بالجنسية الفرنسيه واستلزام قبول احكام قانون الاحوال الشخصية الفرنسية اى ان على من يريد التمتع بتلك الحقوق ان يطرح احكام الشريعة الاسلامية فى مسائل الزواج والطلاق والمواريث وغير

ذلك . فكأنهم يريدون أن يخرج المسلمون من دينهم ليعتبروهم مواطنين لهم ! وقليل من المسلمين من يقبل احكام هذا النظام ولذلك كتب على اهل الجزائر ان يظلوا رعايا أذلاء فى ظل الحكومة الفرنسية

فالجزائر صارت حقيقة كما يقول الفرنسيون جزءا من فرنسا ولكن اهلها محرومون من الحقوق التى يتمتع بها الفرنسيون انفسهم . عليهم كل الغرم وليس لهم شئ من الغنم . عليهم دفع الضرائب . عليهم القيام بالخدمة العسكرية . عليهم اطاعة كل ما تقرره الحكومة وليس لهم شئ من حقوق الحاكمية ! وبهذا يقضى قانون الاستعمار الاوروبى فى تلك البلاد الشقية الحظ

ان فرنسا قد عمرت حقيقة تلك البلاد ومدت فيها السكك الحديدية وسهلت المواصلات واقامت الدور والعمارات ومهدت الطرقات واستثمرت ما فيها من الخيرات . كل هذا لا ينكره احد ولكن الاهالى اصحاب البلاد اليوم لا يمتلكون الا التافه من ذلك الذى هو ملك للمستعمرين ووقف عليهم . فهلا كان الا فضل لتلك البلاد ان تبقى لاهلها خرابا خالية من كل نظام وعمران ؟

لقد افسدت المدنية الفرنسية الاخلاق فى تلك البلاد فلا هى جعلتهم فى صف الغربيين قوة وعلما ورقيا ولا هى تركتهم على اخلاقهم الاولى الفطرية على انها فوق كل ذلك تحشد منهم جنودا تفتح بها بلادا اخرى أغلبها اسلامية

كانت فرنسا لا تألو جهدا فى تجنيد المسلمين من اهل الجزائر ومن المؤلم انه بفضل اولئك الجنود المسلمين اخضعت فرنسا الجزء الجنوبى من الجزائر وقضت على كثير من ثوراتها وحاربت بهم فى كل الجهات التى كانت ميدانا لحروبها كايطاليا والسنغال والهند الصينيه وتونس والمكسيك ومدغشقر ومراكش وكأنها ارادت اخيرا الاجهاز على شخصية المسلمين فى تلك البلاد فجعلت التجنيد فيها فى السنة الماضية اجباريا كما هو فى فرنسا فضج الاهالى من ذلك النظام الجديد وطلبوا من الحكومة الفرنسية ان تعطيهم فى نظير التجنيد الاجبارى ما للفرنسيين من الحقوق ولكنهم عبثا يطالبون ويتظلمون لان فرنسا لا تعتبرهم مساوين فى الحرية الانسانية والحقوق البشرية لابنائها

فالمسلم الجزائرى قد كتب عليه الآن ان يحارب فى صفوف الجيش الفرنسى فى اى جهة تريدها فرنسا ولذلك لم تتأخر فرنسا عند سوق الجزائريين لتحارب بهم اخوانهم المراكشيين وهم الآن يحاربون تحت الراية الفرنسية فى الديار المراكشية

فانظر الى اى حد من التدهور الاجتماعى وصل الجزائريون بعد ثمانين سنة من الحكم الاوروبى . عمرت فرنسا بلادهم ولكنها افسدت عصبيتهم ودينهم واخلاقهم وحاربت بهم اخوانهم وحرمتهم قوة العلم والمال فصاروا عبرة ومثلا للعالمين فعلى الذين يتطلعون الى الاجانب ويظنون ان فى حكمهم صلاحا وعمرانا ان يتدبروا ذلك وان يعلموا انه اذا كان الاجانب يعمرون البلاد التى يهبطونها فهم انما يعمرونها لانفسهم ولا يصيب اهل البلاد بجانبهم الا الفقر والشقاء ولئن خفيت هذه الحقيقة فى بدء الاستعمار فالزمان كفيل باظهارها بعد حين لمن كان غافلا عنها والسعيد من اتعظ بغيره

عبدالرحمن الرافعى
المحامى

الى العالم اسلامى
و
الامة العثمانيه

للكتاب الاوروبيين العظام منزلة رفيعة فى اممهم فهم فى اقوامهم فى مرتبة الاستاذ من تلاميذه . فاذا ابرزوا شيئا من ثمرات افكارهم تهافت الناس على اقتطاف دانياتها الناضجه . واذا اقترحوا امرا سياسيا اكب ولاة الامور على دراسته واتباع مراسمه وبهذا سعدت الامم التى تقدر رجالها الكاتبين قدرهم وتتبع نصائحهم وتعاليمهم .

ولو ان اهل الشرق ينزلون كتابهم ومفكريهم وعلماءهم منزل اشباههم فى الغرب لاستفادوا كثيرا ولخسروا قليلا . بل لو انهم عنوا بعض الشئ بالفحص والتنقيب عما يدبر لهم فى الممالك الاخرى مما تم عنه اقلام فطاحل كتابهم لعرفوا كيف يقون انفسهم وبلادهم نيرانا اكتوت بها جباههم وجنوبهم وانمحت بها معالم عظمتهم وسلطانهم ولكنهم يرون بابصارهم مايكتبه السياسيون وتنشره المجلات الكبرى فاما ان يعرضوا عنها او يتخذوها هزوا ولعبا . ثم لايستيقظون

الا وهم مكبكبون فى الهاويات التى حفرت لهم . مكبلون بالاغلال والسلاسل المحيطة برقابهم واطرافهم .

ولقد حاولنا غير مرة ان نعود العالم الاسلامى ترويض نفسه وتعويده ان يتدبر مايكتب فى امره مما تنشره المجلات الكبرى الاوربية حتى يتبينوا حقيقة ما يدبر لهم فيتخذوا من دونه مايلزم من الوقايات وها نحن اليوم ننشر للامم الاسلامية عامة والعثمانيين خاصة ترجمة مانشرته مجلة القرن التاسع عشر الانجليزية الصادرة فى شهر مارس الغابر لرجل من كبار كتاب انجلترا السياسيين ليتدبروا معانيه ويدرسوا مقاصده ويعتبروا بما تضمنه حتى لا تأخذهم القاضية بغتة وهم لا يشعرون . فالى الامم الاسلامية ماقاله تحت عنوان .

الحل النهائى للمسالة الشرقية

من اكبر المصالح الانجليزية دوام المحافظة على السلام الذى نحن معاشر الانجليز -على العموم- من اعز طلابه واكبر الداعين اليه لاننا بدونه نكون مهددين فى كل مصالحنا ومرافقنا. ولكن اذا ماجادور خطباء السياسة وكتابها نبيان الطريق الذى تسلكه الامم للمحافظة على هذا السلام نجدهم جميعا قد اختلفوا فيما بينهم ولم يستطيعوا الاتفاق على شئ يقررونه فيما بينهم فى هذا السبيل. فبعضهم يرى ان الطريق لدوام السلم هو الاستعداد للحرب استعدادا يذهب امامه كل مايقصد به عرقلة مساعينا او تعطيل مصالحنا ضاربين الصفح عما سننفقده فيها من الرجال والمال . وآخرون (الانجليز والفرنسيون والالمان والامريكان) يرون ان انجع علاج لدوام السلم هو تخفيض حدة الحكومات بنشر كتب ونشرات كثيرة يبينون فيها ماينجم عن الحروب من الخسائر الفادحة لكلا الطرفين الغالب والمغلوب وانهما فى الحقيقة يتساويان فى المصاب والقضاء النازل عليهما . هذا هو مبدأ نظرية السلام الذى تقره حالة الامبراطورية الالمانية وايطاليا والولايات المتحدة واليابان لان الحياة الوطنية الرغدة لا تكون فقط تحمل اعباء الديون واثقال الكواهل بنفقات الحروب .

ان الجبال لتتزحزح عن اماكنها والطبيعة البشرية تتغير عن حالتها قبل ان يستطيع احد كبح جماح نفس امة فتية متشوقة للمعالى او الوقوف فى طريق امة مستعبدة تريد رفع النير الاجنبى عنها لتأخذ المكان اللائق بها بين الامم الحية اذا هو افنى كل حياته فى سرد فظائع الحروب واضرارها بالجنس البشرى ومخالفتها

للانسانية . ومن دون هذين الضربين من الناس يوجد ضرب ثالث يرى فى السلام انه يوجب على الدول العظمى تحديد نفوذها الاستعمارى وتعديل طريقة استملاكها للبلاد وبذلك يتسنى للدول ان تحفظ العالم من شر الحروب امدا طويلا . فلو ان انجلترا والمانيا التحمتا فى حرب طاحنة فان هذه الحرب لا تنتج ادنى فائدة لاحد الطرفين المتحاربين . اذ لو فرض ان خرجت المانيا من الحرب ظافرة فان الولايات المتحدة وكندا وحكومات جنوب افريقا المتحدة والروسيا تحرمها ثمار هذا الظفر والانتصار كما ان انجلترا لو خرجت ظافرة وتمكنت من تخريب الامبراطورية الالمانية فانها لا تستطيع ان تستعيض حتى ولا بعد عشرات السنين مافقدته من الجنود البيض مما ستستولى عليه من الاملاك . فالامتان فى الحالين لا تربحان من الحرب شيئا . وغاية مايمكن ان يتصور عقب هذه الحرب ان الروسيا او هى والولايات المتحدة ايضا هما الحكومتان الوحيدتان اللتان ستستفيدان من مجهوداتنا وانتصاراتنا.

كان كثير من الكتاب يشكون كثيرا فى مبدأ الامر فى ان المانيا يمكن ان تعمد فى سياستها للمحافظة على السلام ولكنهم اليوم قد تحولوا عن عقيدتهم هذه واخذوا يقولون بعدم طمع المانيا فى توسيع نطاق مستعمراتها اكثر مما وصلت اليه الآن . وان اطماعها فى افريقيا الآن قد وقفت عند حدها بعد ما ضمته لمستعمراتها من الاملاك الفرنسية وبعدما ضمنت حرية التجارة فى مراكش واذ اصبحت املاكها مشرفة على نفس مجرى نهر الكونجو رضيت ان تدع الاشراف على البحر الابيض لغيرها ممن يطمع فى تكوين الامبراطوريات الضخمة . ولكن نفس هؤلاء الكتاب ينكرون على الروسيا مايمكن ان تعتذر به فيما ترمى اليه من الوصول حتى الخليج الفارسى لسبب مركزها الممتاز فى ولاياتها القفقاسية ولعلهم يعتقدون انه من السهل الميسور ان تخرج روسيا من بلاد فارس بمجرد قولهم لها ذلك كما يعتقدون بجواز امتداد نفوذ الروسيا على شبه جزيرة البلقان حتى بحر الادرياتيك بما فيها السيطرة على البوسفور والدردنيل .

فهؤلاء الكتاب بحسب ماينشرونه من الآراء والافكار يريدون تقوية النفوذ اليونانى طفرة واحدة بتسليم جزيرة قبرص الى اليونان قبل ان تظهر كفاءتها فى ادارة حكم جزيرة كريد . وكذلك يريدون ضم بقية الجزر العثمانية ومعها جزيرة ابيروس الى هذه المملكة الصغيرة .

ويقول هؤلاء الكتاب تلاميذ السياسة انه عند تقسيم تركيا — وهو

مايأسفون عليه ــ يمكن لبريطانيا العظمى التى ضمت قبرص ان تستعيض ما فقدته باستيلائها على جميع بلادالعرب وما بين النهرين .

اماالروسيا فيكفيها من الغنيمة ارمينيا وفرنسا بلاد سوريا وبعد ذلك يعاد تأسيس سلطنة عثمانية جديدة فى اسيا الصغرى تكون فى الظاهر كولاية مستقلة . اما المانيا والنمسا فلأنهما تقتنعان بحدودهما الحاضرة وبما سيكون لمتاجرهما من حرية التصريف فانهما يرضيان بانهاء المسئلة الشرقية على يد دول الاتفاق الثلاثى تعاونها حكومات البلقان واليونان . واذا فرض انه بدا من المانيا شئ من التذمر يمكن تلافى الامر باعطاء المانيا جزءا من المستعمرات البورتغالية .

ولعل اصحاب هذه النظريات ينقضون الذى ارمى اليه هنا ارتكانا على ما يمكن ان يبدو من جانب الاشتراكين فى المانيا اوالسلافيين فى بوهيميا . ولكنهم لو تبصروا فى الامر لوجدوه ضئيلا جدا بالنظر للعزم الثابت الذى عليه رعايا الامبراطوريتين من وجوب الاشتراك فى كل ما يبدو للناظر مما له شأن عظيم . وماعلى اولئك الذين يقولون باستكانة الشعب الالمانى ورضائه بحالته الحاضرة الا ان يزوروا ادارة تعليم المستعمرات فى هامبرج ومتاحف البحث عن طباع البشر واخلاقهم و الجمعيات الجغرافية فى برلين وكولون وبريمن واستتجارت وليبزج وميونخ ليتعرفوا الطرق التى يسلكها الالمانى لبسط حكمه على جميع قبائل افريقيا المتأخرة فى المدنية واضرابهم فى غرب اسيا وخلافهما مما يرى النسر الالمانى فيها غنيمة كبرى او اذا لم يكن ذلك فعلى الاقل للاقامة اوالاستعمار اوالاكتشاف .

وترجع رغبة الالمانيين الشديدة فى توسيع نطاق نفوذهم خارج المانيا الى خوفهم الشديد من انهم لواستقروا فى اماكنهم ولم يسعوا فى توسيع نطاق مستعمراتهم فانهم سيحجبون فى يوم من الايام عن الوصول الى اعظم واهم اسواق الدنيا التجارية ومصدر الغلات والحبوب . وتبتدئ هذه الرغبة منذ ١٩٠٣ — ١٩٠٤ يوم قامت الحملة فى المجلس بهذا الصدد .

ان سياسة الافضلية التى اتبعتها انجلترا سواء فى مرافئ انجلترا نفسها او فى مستعمراتها الواسعة قد دفعت المانيا بشدة لتبحث لها عن مكان يليق بها بين الامم صاحبة الاملاك الشاسعة . وان النمسا لترقب حركات المانيا فى هذا السبيل وتتبع خطواتها بكل دقة . والمانيا فى هذا الصدد لاتمثل نفسها فقط بل انها تمثل

الامبراطوريتين (المانيا والنمسا) معا . لانه لوقدر لانجلترا ان تسقط من شاهق عظمتها الحاضرة (ولا بدلها ان ترى ذلك اليوم ولعله قريب انشاءالله) فان المانيا هى الامة الوحيدة التى ستأخذ تلك المكانة السامية فعند ذلك نرى البضائع النمسوية تعامل فى جميع البقاع كالبضائع الالمانية بخلاف البضائع الانكليزية (والفرنسية بالطبع) فانها تكون وقتذاك فى المنزلة التى فيها البضائع الالمانية اليوم .

ولكن النمسا ايضا حريصة جدا ومملوءة بالأمل القوى فى بسط سيادتها فوق ربوع شبه جزيرة البلقان والبحر الاسود وسواحل بحر ايجى كيما تصرف مصنوعاتها الكثيرة ولكى تشرف ايضا على اسواق بحر الروم التى تخرج المواد الاصلية . والحقيقة ان المسئلة مسئلة حياة اوموت لتلك الامم المحتشدة تحت حكم الامبراطور فرانسوا جوزيف سواء كانت المانية اوبولونية اورومانية اوكرواتية اومجرية او دلماسية فهم اليوم يوطدون العزم على الموت فى سبيل البقاء خوف ان تغتالهم يد الروسيا وتقضى عليهم بالفناء . وهل كانت المانيا تبنى سكة حديد بغداد وهى تعتقد ان تركيا ستبقى الى الابد حاجزا بينها وبين اطماع الروسيا فى الاستيلاء على الاستانة اوالاناضول اوالاطماع الانجليزية فيما بين النهرين ؟ كلا فالحقيقة ان ممالك اواسط اوروبا قد بدأت تشعر بشديد حاجتها الى تصريف بضائعها ومصنوعاتها فى اسواق اواسط اسيا فاطماع النسر الالمانى لن تقف عند حد حتى تصل (هامبرج) برأس الخليج الفارسى .

ومن ذا الذى يستطيع تعيين مستقبل الحال هنا ؟ فلعل ارض مصب الدجلة والفرات تكون كلها فى يوم من الايام مغطاة بجثث القتلى ؟ : انجلترا فى الكويت و ممالك اواسط اوروبا فى البصرة والروسيا فى المحمرة (١)

ولقد سعت الحكومة الالمانية للوصول الى هذه الغاية بطرق كثيرة كان تخللها مع الاسف كثير من الغلطات ومما يزيد الانسان اسفا ان الحكومة الالمانية (والنمسوية

(١) ان للسياسة مجالا كبيرا فى عمل شئ حاسم فى هذا الصدد . اذ يمكن اعتبار حيدة المنطقة الواقعة على الشاطئ من الكويت فالاراضى التى بين مصب نهر الفرات الى حدود العجم الاصلية خلف نهر قارون عند نقطه (هنيلبان) فيتكون من ذلك ميناء حرة لاتكون واقعة تحت حكم اى سلطة وعلى ذلك يمكن للطريق الحديدى من فينا فالاستانه فبغداد فالهند ان يمر وسط هذه المنطقة التى ستكون تحت ملاحظة الروسيا من الوجهة الصحية فقط .

كذلك) لم تزن قوى بلغاريا والصرب الحربية وزنا مستقيما كما انهالم تدرك كنه تمشى اليونان فى طريق النمو الطبيعى . كذلك رجال سياسة الدولتين (النمسا والمانيا) لم يتبينوا الحقيقة الواقعة وهى تعفن الادارة التركية وسوء منقلبها وعدم صلاحية الجندى التركى للدخول فى معامع الوغى لتركه العمل بامور دينه وسرعة اخذه بالمدنية المسيحية . وعلى ذلك فان المانيا كانت تبنى آمالها بتقوية نفوذها فى الشرق الادنى على عقد محالفة مع تركيا او على الاقل ان لم تتوفر شروط عقد هذه المحالفة فانها (المانيا) تحذ تركيا عونالها ولباسا ترتديه فى تحويل اهالى شبه جزيرة البلقان واسيا الصغرى ومابين النهرين وسوريا : ولقد كانت السياسة الالمانية تنظر لتركيا كما تنظر لرومانيا كقوة كبيرة يمكن الاستناد عليها لرجحان كفة التحالف الثلاثى . ولقد وصل بهذه السياسة الغلو لحدانها كانت اذا ما انفصلت ايطاليا عنها — بدافع انضمامها لفرنسا واسبانيا شركائها فى المنصر — تريد احلال تركيا محلها .

ان الدماء الارمنية قد كانت تسيل دائما انهارا والمقدونيون والصربيون والبلغاريون يسامون الخسف والعذاب واليونان لايسلمون من شر يقع فوق رؤوسهم وقبائل البوماق والكرد تفتك فى العناصر المسيحية فتكاذريعا وتعاملهم معاملة الانعام بل اضل سبيلا ومع هذا فان اوروبا كان لايبدو منها اقل ضغط على السلطان فى ادخال الاصلاحات لولا ان كثيرا من الماليين النمسويين والتجار وكثيرا من المهندسين والمعدنيين والحفارة الالمانيين كانوا يتجولون فى الممالك العثمانية من غيران يقف فى طريقهم احد ويكتبون للصحف والمراجع السياسية فى اوروبا عن سوء الحال وخلل الادارة وعدم انتظام الحالة الداخلية التى تستوجب سرعة الاصلاح فلهذا قامت الدول الاوروبية وسارعت بالضغط على السلطان فى طلبه . فلولا هؤلاء النفر من النمسويين والالمان لجاءت الاصلاحات متأخرة كثيرا عن وقتها الذى طلبت فيه. ولكن الساسة الالمانيين والنمسويين خدعوا مرة اخرى يوم اضطرت اعمال عبد الحميد جماعة تركيا الفتاة للقيام بثورة فى صيف عام ١٩٠٨

فالنمسا خوفا من ان ترى تركيا الجديدة امة حية ترغب فى التمسك بحقوقها اكثر مما ترغب فى السلم سارعت الى ضم البوسنة والهرسك لاملاكها . ولم يمض على ذلك غير ثلاث سنوات حتى رأينا ايطاليا تتبع النمسا فى عملها وتعلن انضمام طرابلس الغرب اليها . فالوهن الذى بدا على المانيا لعجزها عن انقاذ تركيا مما حل بها جعل الاميال التركية تحول عنها تماما وتعرض عنها كل الاعراض .

واذ رفضت تركيا ان تتفق مع ايطاليا على شروط صلح طرابلس فقد اندفعت ايطاليا بما لحقها فى الخسائر فى محاربتها العرب والضيق المالى الشديد الذى وقعت فيه الى ان تدس الدسائس بين الامم البلقانية لتدفعها للدخول مع تركيا — تخريبة الامبراطورية الرومانية — فى حرب طاحنة يستفيد منها العالم المسيحى. ولقد قضت ايطاليا على سمعة تركيا العسكرية سريعا باحتلالها جزيرة رودس اما المانيا والنمسا فلعدم املهما فى نجاح الحكومة التركية واسترجاعها المجد القديم فانهما اباحتا الحكومات البلقان ان تسير فى طريق استعدادها للحملة على الاتراك شيوخا وشبانا . ولكن الشجاعة والمهارة العسكرية التى بدت من جانب الامم السلافية واليونان وعلى الخصوص بلغاريا التى سيكون لهاشان عظيم جدا فى مستقبل شرق اوروبا قد افسدت برنامج دول اواسط اوروبا الذى وضعوه لآخر مرة . ولقد كان يتبادر لاذهان اولى الامر فى فينا وبرلين ان البلغاريين سيظهرون كفاءة حربية وان الجيلين سيقومون بحملات هجومية تستحق الاعجاب والثناء ولكن الصرب واليونان سيختلط عليهما الامر ويلاقيان مصاعب شتى واذا الحرب انهكت قوى جميع المتحاربين تقوم المانيا والنمسا فتمد اخلان فى الامر وتعقدان الصلح . ولاشك ان من بين سطور عبارات هذا الصلح الاعتراف بالسيادة النمسوية على قوصوه وعلى وادى الفاردار حتى مدينة سالونيك وعلى بقاء المملكة العثمانية بعد ذلك فى شرق اوروبا واسيا تحت رعاية ورحمة الاتفاق مع النمسا والمانيا الذى لا شك فى ان الدولة العلية تقبله وقتذاك بكل سرور وارتياح

ولكن نتيجة المواقع والملاحم التى حصلت فى الستة الاسابيع الاولى كانت على خلاف ما قدرته السياسة الالمانية النمسوية ومن حسن الطالع ان النسر ذا الرؤس الاربعة (ويعنى به الكاتب الاتفاق البلقانى) قد اصبح له من القوة والمنعة ان صارا حجر عثرة فى طريق مطامع دولتى اواسط اوروبا (المانيا والنمسا) وبفضل ذلك النسر كتب الله لمقدونيا ان ترحم من حكم تلك الدولة الاسلامية الضعيفة كما كتب الخلاص لثلاث امارات كانت معرضة لخطر استيلاء النمسويين عليها فيمتصوا دماءها . ان النمسا اذا هددت دول الاتفاق البلقانى وارادت ان تحرمهم ثمار انتصاراتهم قبل ان تفتح الاستانة فان هؤلاء (البلقانيين) سيضطرون وقتذاك الى طلب معونة الروسيا ومما لا شك فيه ان فى ذلك محو تركيا محوا ابديا لا قيام لهما منه البتة كما ان تداخل الروسيا هذا سيقضى الى الابد على اى مطمع للنمسا والمانيا

في الشرق . كما انه قد يكون سببا في امتداد نفوذ الروسيا حتى شواطئ بحر الادرياتيق وفي ذلك الخطر الاعظم على توازن البحر الابيض المتوسط وذلك هو السبب في عدم تلكوء ايطاليا في تجديد معاهدتها مع النمسا تلك المعاهدة التي تعتبر غير طبيعية بالمرة .

ان النمسا تحاشت خلق حرب اوروبية عامة بامتناعها عن احتلال نوفي بازار واكتفائها بما هو ادنى من النظر في شؤون البانيا وتنظيم امورها على انها ولاية مستقلة اليوم ولكنها قطعة من املاكها في الغد . فهي بذلك قد تنازلت عن آمالها التي كانت تجول في خاطرها منذ ٤٥ عاما من جعل سالونيك مرفأها الجنوبي . ومن الغريب ان النمسا والمجر والمانيا ورومانيا — دول الاتفاق الرباعي في المستقبل — تفكر في ان الدول البلقانية حتى الاستانة وشبه جزيرة غاليبولي والحدود اليونانية (التي لا يدخل ضمنها سالونيك لان هذه من نصيب الصرب) سيمكن التفاهم معها او الدخول سوية في اتفاق واحد — ماليا وتجاريا وسياسيا — مع زبانية (هكذا) ممالك اواسط اوروبا .

ان تركيا حتى لو فرض انها ضربت في هذه الاسابيع الضربات السريعة القاضية عليها بعقد الصلح الذي فيه تسلم جميع — او الجزء الاعظم من — املاكها الاوروبية فانها مع ذلك لاتزال خطرا على السلام العام الا اذا وضعت تحت رعاية دولية عامة

ان امة ذاقت طعم الحرية وتمتعت بثمارها زمنا ما لا يمكنها باي حال ان تقبل مداخلة دولة اخرى كالروسيا مثلا في امورها الداخلية . وامامنا شاهدا على ذلك حالة بولونيا وفنلندة . ان البلقان ستكون بعد هذه الحرب في حاجة الى رؤوس الاموال والى الادوات الحربية والى طريق سياسة رشيدة تسلكه والى رجال محنكين يديرون دفة شؤونها حتى يتسنى لها بذلك ان تبقى امة مستقلة بمفردها .

والمتطلع للاحوال السياسية يرى ان عقد محالفة بين مقدونيا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا لسد هذا العوز غير ممكن اصلا . فان المانيا تجاوب هذا الاتفاق في الحال بحملة من الجهة الشرقية يكون من المتعذر صدها . نعم بالطبع يخطر على بال المشتغل بالمسئلة المقدونية امكان تداخل الولايات المتحدة فان مواطني الامريكان بما جبلوا عليه من التعاليم الصحيحة قد هيئوا الطريق الصحيح لكل هذه الفتن والثورات داخل الطورية العثمانية التي تنخر السوس عظامها واصبح من المستحيل

— ٥١٢ —

شفاؤها . ومن المتصور والمعقول ان الولايات المتحدة قد تمد البلقان برؤوس الاموال الطائلة الكافية لاستهلاك الدين التركي ولبناء الطرق الحديدية واقامة الحصون والمعاقل وتشييد البوارج الحربية والاساطيل الضخمة وشراء المدافع الكبيرة وما يلزمها من الذخائر بكميات عظيمة بحيث يمكنها الدفاع عن نفسها من كل طارئ ولا سيما من النسر ذي الرؤوس الاربعة (هكذا) ولكن هل الولايات المتحدة تقبل ان تقطع خط الرجعة على صديقتها المانيا — في وقت ما في حال انها في حاجة لتنظيم شؤونها السياسية في بلاد المكسيك وهموم اواسط امريقا ؟

ان الحالة السياسية التي كانت الى قبيل اليوم بقريب تسمى بمسئلة (تركيا في اوروبا) لم تكن تستدعي تداخل انجلترا اللهم الا اذا كانت سلبت كريد من ايدي اليونان او ان الروسيا احتلت الاستانة او قبضت بيديها على الدردنيل . اننا بكل ارتياح نرضى بحرية مرور المراكب الحربية الاجنبية من البوسفور والدردنيل على شريطة قبول النمسا والمانيا . واذا هما لم تقبلا ذلك واصرتا على بقاء الحالة على ما هي عليه من سد البوغازين في وجه السفن الحربية يجب عليهما ان تستعدا لمقابلة الصدمة الهائلة التي سيقذفها عليهما غيظ الدب الروسي . ولكن احتلال الروسيا لهذا المضيق بين اوروبا واسيا وايجاد منطقة روسية في غرب او جنوب اسيا الصغرى يكون خطرا عظيما جدا على التوازن الدولي في البحر الابيض المتوسط وعليه فان انجلترا لا يمكن ان تقبله باي حال من الاحوال . والمنتظر في مقاومة هذا التيار ان تتحد سوية مع التحالف الثلاثي (المانيا — النمسا — ايطاليا) ومع فرنسا والولايات البلقانية . ان الروسيا لم يعدلها من حق في تضييق الخناق على امم اوروبا الناهضة او ان تضع يدها على ما يقع في الطريق من اوروبا حتى الخليج الفارسي . فان غاية الروسيا ان يكون لها مرفأ جنوبي في المنطقة الحارة حيث تتمكن بحريتها التجارية من تصريف محصولاتها ومصنوعاتها في بلاد المنطقة المعتدلة من اسيا وافريقيا . فالواجب على الروسيا في مثل هذه الحال ان تتخلى عما لديها من بلاد فارس الاصلية وتكتفي بمنطقة ضيقة تبتدئ من تبريز وتنتهي عند الركن الشمالي الغربي للخليج الفارسي ولكن نفوذ الروسيا في شبه جزيرة البلقان واستيلاؤها على الاستانة وعلى الشاطئ الجنوبي من اسيا الصغرى يمكنها من الزحف على سوريا ومصر بقوى هائلة لا يمكن مقاومتها . فهي على ذلك وعلى انه لا يمكن غزوها من جهة بحر البلطيق او بحر المحيط المتجمد الشمالي وعلى

كثرة ازدياد نفوسها بالملايين العديدة لابد ان تصبح سيدة العالم باسره (١) ففي مقاومة استيلائها على مضيق الدردنيل وجنوب اسيا الصغرى يمكن اعتبار النمسا والمانيا حليفتين لانجلترا . فالواجب علينا نظرا للمستقبل البعيد وخصوصا بعد ذهاب تركيا ان نكون على وفاق تام مع دولتي اواسط اوروبا وان نكون معهما على الدوام في صفاء تام .

ومع هذا فاننا لا يمكن ان نقف في اعجابنا بدول الاتفاق البلقاني عند حد او ان نهضمهم حقهم في الحرب الحاضرة . اننا نتمنى من صميم فؤادنا ان تجد الصرب في سالونيك وجزيره (شالسيس) ما ترجوه من توسيع نطاق ملكها وما هي جديرة به . وكذلك من الجهة الغربية تتمنى ان تمتد حدودها مع حدود الجبل الاسود والبانيا وان تجد لها منفذا للبحر الادياتيق . وليكن لبلغاريا بعد ذلك تساليا وفي الغالب ايضا ان يكون معها شاطئ بحر مرمرة الغربي وقل حتى « الاستانة » وعلى ذلك فمن السهل الميسور على بلغاريا بعد ان اتسع نطاق ملكها وامتدت شواطئها ان تتنازل عن تلك المنطقة البسيطة الواقعة ما بين سلستريه واكرين لرومانيا التي تلحف في طلبها

اما اليونان فانها في الغالب ستكون اوفر المتحالفين قسطا بالنظر لتضحية الرجال والمال . لان المعارك اليونانية مع الاتراك لم تكن غير فسحة حربية وخصوصا عند مقارنتها بتلك المعارك الدموية الهائلة التي خاضتها الجنود الصربية في برشتنه وكومانوفو واسكوب او تلك التي خاضها البلغاريون في قرق كليسا وادرنة وشتالجه وغاليبولي . نعم ان البحرية اليونانية قامت بعمل مجيد اذ احتلت بجنودها جزيرة كريد واسبوريد وساموس وساكس ومدلين وفي الغالب ان اليونان ستبقي هذه الجزائر في يدها للاغلبية العظمى التي يتكون منها سكان هذه الجزر (يونان) . ولكن على ما يرى ان مثل جزيرة لمنوس وايمبروس والجزر الاخرى القريبة من شواطئ تساليا ستعطى للبلغار . اما ايطاليا فسيكون نصيبها على ما يظهر جزيرة رودس وعلى ما ارى ان نفوذ الدولة اليونانية في شرق اوروبا الجنوبي سيتسع ويتزداد كثيرا اللهم الا اذا رجعت لتركيا الحياة من جديد ودب في عروقها دبيب النشاط فنظمت جيشها واعتنت على الاخص بتعليم مدفعيتها التي تعتبر في الحاضر مفقودة بالمرة لجهلها بجميع التعاليم الفنية . ولكن نقطة النظر ليست في ذلك بل انها فيما ستؤول اليه الاملاك العثمانية في اسيا حيث توجد الاطماع الاشعبية الكثيرة

فتتلاقى في نقطة واحدة فيها تهرق الدماء الكثيرة وتسفك من غير حساب . ولكنني اعتقد انه لو كان بين من يقبضون على دفة السياسة الاجنبية احساس مشترك (ولعله احساس التعصب الديني) فان في الاستطاعة عقد مؤتمر سفراء — قد تقرر من زمن — ليعمل بقدر ما في الاستطاعة على تجنب وقوع حرب بين المسيحيين وبين المسلمين

وبناء على مايدور على السنة رجال السياسة وكبار الامم القادرة نرى ان المسئلة الشرقية ستنتهي بهذا الشكل

اولا ان تطلق حرية التجارة في جميع الاملاك العثمانية الحاضرة بمعنى ان لا يكون فرق او تفضيل في التعاريف الجمركية سوآء في اسيا الصغرى او ارمينيا او ما بين النهرين او حلب او سوريا او بلاد العرب او مصر او قبرص اى ان لا يكون لاحدى الدول العظمى اية ميزة على الباقين .

ثانيا ان يوزع الدين التركي على جميع الولايات التي كونت جزءا من المملكة العثمانية في اوروبا واسيا وافريقا منذ اول القرن العشرين وبشرط ان لا تزيد حصة مصر او قبرص من هذا الدين عن مبلغ الجزية السنوية الحاضرة وان تعطى التسهيلات اللازمة بالطبع

ثالثا ان يصدق لانجلترا على حق الملكية المطلقة في قبرص ومصر وسينا وكذلك حماية فرنسا لسوريا وجبل لبنان : وان تؤسس في فلسطين ولاية صهيونية تكون تحت رعاية جميع الدول العظمى : وان يعطى استقلال تام لشبه جزيرة العرب (الحجاز واليمن) : وان تمنح الروسيا حق وضع طربزون وارمينيا تحت حمايتها مباشرة : وان تبقى ايطاليا رودس بيدها .

وفي النهاية اذا كان ولابد ان يبقى على ظهر المعمور ما يقال له ملك آل عثمان فمن المستحسن ان تنسخ صبغة الملك الحاضر ثم يعاد تأسيس سلطنة جديدة ومن التحمل ان تبتدئ من الاستانة وتضم ما بين النهرين حتى الخليج الفارس وهذه السلطنة لابد ان تكون تحت الحماية الالمانية وان تكون ماليتها وخارجيتها تحت نظارة السفير الالماني مباشرة من غير واسطة اى انها تكون في مركزها المستقبل مع المانيا كمصر مع الانجليز

ان حلا كهذا مع انه هو الطريق الوحيد للتخلص من شر واخطار المسئلة الشرقية التي لها قرن كامل وهي تهدد السلام العام لا يمكن ان يتم بسهولة قبل

ان تنتهى الحرب البلقانية وتجلى للرائين نتائجها وعلى هذا فلعل رجال السياسة الاوروبية يرون العمل من الطريق الآخر الاقل صعوبة وهو تقسيم المملكة العثمانية الى مناطق نفوذ تاركين كل منطقة فى اسيا ومصر الى الملاحظة المطلقة والنفوذ المالى من جانب الدولة التى سيكون لها النفوذ والتى يراعى ان تكون ذات مصالح خصوصية فى تلك المناطق تستدعى النظر فى شؤونها . ولكن تعيين هذه المناطق طبقا للحدود الجغرافية الطبيعية اللهم الا فلسطين فانها يجب ان تكون تحت رعاية جمعية مسيحية من جميع الامم ولعل من المستحسن ان تعين لها وال وحرس (جاندرمة) من يهود ويكونون تحت امرة تلك الجمعية المسيحية .

ولكن لعل معترضا يقول هل الاتراك انفسهم يقبلون مثل هذا التقسيم ؟ ؟ والجواب على ذلك ما الذى يمكن ان يعمله الاتراك او يقوموا به اذا امكن الدول ان تتفق على ذلك ؟ ؟ انهم اذا لم يخضعوا لقرارات اوروبا فانهم يحرمون نفوذها واسلحتها . وهل كان لتركيا حق البقاء بعد سنة ١٧٩٨ لولا تنافس انجلترا وفرنسا وروسيا والمانيا والنمسا ؟ ان على رأس اولئك الذين كانوا سببا فى عدم اتفاق الدول منذ ذلك الزمن تقع اللعنات وينزل جزاء تلك المظالم والوحشيات الهائلة التى ارتكبت فى اليونان وكريد وجزر الارخبيل والبلقان والاناضول وارمينيا وسوريا وبلاد العرب ومصر منذ قرن مضى . فلولا المنازعات الاوروبية والاختلافات بينهم لكان الاكراد اليوم قد لاقوا ماجنت ايديهم وجوزوا على الماضى شديد الجزاء ولولا نفس هذه الاختلافات لما كانت مصر تعرضت لحمل هذه الديون الطائلة التى قصمت ظهرها . ولولا هذه الاختلافات لما وقعت اليمن تحت طائلة ذلك الحكم الذى اخنى على اهلها وجعلها خرابا بلقعا ولكانت اليوم ترفل فى عز وتتبادل متاجرها مع اوروبا بكل راحة وطمأنينة ولولا هذه الاختلافات لكانت بغداد اليوم زهرة العلوم ولا سترجعت ايامها الاولى على عهد الرشيد . ولولا هذه الاختلافات لكانت الاستانة اليوم روما الثانية . ولولا هذه الاختلافات لكانت الولايات البلقانية اليوم مورد رزق وثروة . ولولا هذه الاختلافات لكانت سوريا اليوم ارض الجنان ولكانت استعادت مجدها القديم زمن كان بها الفنيقيون واليونان والرومان . ولولا هذه الاختلافات لكانت اسيا الصغرى اليوم منبع العلوم والمعارف ومهدا للمؤرخين العظام ورجال الحفريات والبحث والرياضة والفلك فتستعيد ايامها القديمة منذ الاجيال الاولى حتى زمن المسيحية (٤)

فقل بالله عليك من هو ذلك المخلوق الذى يعرف للانسانية معنى فيقول اليوم باستحقاق الترك للحكم فى اى قطعة من قطع الدنيا ؟ ان التركى محارب قوى وجندى شجاع . وكذلك رأينا الجندى البلغارى والعربى . انه امين وصبور . وكذلك رأينا البلغاريين . وعلى اى حال مهما كانت صفات العثمانى الشخصية فانه لا شئ البتة فى السياسة . ولكن لا ننسى فوق ذلك كله ان التركى بليد . والا فليقل لنا من هم مهندسو بنائه ؟ اليسوا اليونان والعجم والعرب والبرابر والطليان والفرنسيين ؟ ليقل لنا من هم اطباؤه ؟ اليسواهم يهود وارمن وعرب واكراد ويونان . ليقل لنا من هم ارباب المال لديه ! اليسو هم يهود ويونان وارمن والمان وطليان ورومانيوند ليقل لنا من هم قواد بحريته اليسوا يونانيين او سلافيين وصقليين ومصريين وبربرا وعربا . ليقل لنا من هم قواد جيوشه ؟ اليسوا البانا واكرادا وشركسا والمانا ومجريين . وفوق هذا فلغته مجردة من الادبيات وليست فى الحقيقة الارطانة اعجمى مما يستعمله سكان المنخفضات الاسيوية ولولا ما استعارته اللغة من الالفاظ العربية والفارسية والرومية لما كانت تعد ضمن اللغات .

لقد كان الاتراك فى شرق اسيا ووسطها وغربها سببا فى خراب الصين وفارس ومدينة اشور فى اواسط اسيا . كذلك قضى الاتراك على عرب مصر والحقوا بهم المصائب والرزايا ولم يتركوهم حتى افنوا معظم السكان اذ نزل تعداد سكان مصر فى ايام حكمهم من ثمانية ملايين الى مليونين فقط . كذلك قضوا على قبرص واهلكوا حرثها ونسلها بعد ما كانت ولاية عامرة بالخيرات آهلة بالسكان . كذلك قضوا على طرابلس فاهلكوا اهلها وشتتوا شملهم وكذلك الحال فى تونس والجزائر . كذلك كان شأنهم فى كريد فانهم كادوا يرجعون اهلها الى عهد الوحشية القديمة . كذلك لم يتركوا شبه جزيرة مورة حتى كانوا اتوا عليها نهبا وسلبا . ومن الاسف انهم كذلك كانوا سببا فى عدم نجاح النهضة الفارسية ايام حكم الشاه سوفى (هكذا) اما تساليا ومقدونيا والروملى والبلغار والصرب وابيرس وبسارابيا والاشيا فحدث عنها ولا حرج لانهم تركوها وهى صحراء بلقع ليس فيها من اثر للعمارة والحضارة ما يذكر . مدنها حقيرة ضيقة الازقة والطرق وارضها قاحلة جرداء ليس بها من الزراعة شئ حتى ان الغابات الطبيعية كاد يقضى عليها نحس الاتراك وسوء تصرفهم . فهل بالله يجوز لاوروبا ان ترعى حرمة لابناء هؤلاء المخربين ؟ ماالذى يستحقه لدينا التركى من الرحمة والشفقة ؟ ماالذى قدمه هذا التركى المنحوس

للمحلات المسيحية المقدسة والاسلامية منذ استولى على البلاد بعد ان اكتسحها هولاكو ودمر مدينة الرشيد ولم يبق لها من اثر يذكر ؟ او ما الذى قدمه فى سبيل العلم لحفظ آثار المصريين والاشوريين والعجم واليونان والرومان والبيزانطيين والسلجوقيين والبندقيين ؟ لقد كان ما بين النهرين فى ايام خلفاء العباسيين جنة الخلد ومورد النعم والبركة فما بالها اليوم تحت حكم الاتراك اصبحت صحراء مقفرة ؟ ليجبنا الذى يريد ان يتجرد من الانسانية ويدافع عن ادوار الحكم التركى المنحوس

نعم ان فى البلاد العثمانية كثيرا من طيب الرجال والنساء وحقيقة ان اغلب السكان معتدلو المزاج واجسامهم قوية قابلة لكل رقى ولكن كم من هؤلاء من هو تركى اصلى ؟

الحق يقال ان سكان المملكة العثمانية قد خلق الله للرقى والحضارة فازح عنهم ذلك الحكم المظلم حكم الاتراك وارشدهم الى طريق العلم والعمل وانت ترى من عناصر هذه الدولة رجالا ولا كل الرجال. لديك من فيها من اليونان واللاظ والشركس والارمن والسوريين والعرب واليهود والكرد فهذه العناصر تحت حكم آخر تجد منها كل ما ترجوه وتنظره من اكبر امم الارض الرشيدة فسرعان ما تتسابق هذه العوالم فى ميدان العمل فتتصل حلقاتهم بحلقات الامم الاخرى فيشعرون بحقيقة الحياة البشرية النعيمة التى حرمهم منها ذلك العهد المظلم عهد الاتراك. ان جميع سكان تركية اسيا بعد الفصل فى امر الحرب الحاضرة وتسوية امور هذه الدولة العتيقة على ماسبق شرحه سيجدون منفذا كبيرا يخرجون منه الى حياة هذا العالم الراقية فيزداد تعدادهم وتنمو ثروتهم وتسمو افكارهم ويصبحون قوة فعالة فى هذا الكون . ولعل الاتراك انفسهم يستعيدون اذذاك نشاطهم وقوتهم . ولعلهم يخلعون عنهم كل رداء شرقى عتيق ويتعقلون المدنية الاوروبية فيطلقون سراح نسائهم من الحريم (الذى هو حقيقة سبب بلاء الاتراك وفسادهم) حتى انهم بتوالى الزمن ومخالطة ذوى الشعور والاخلاق يمكنهم ان يأخذوا لهم مكانا يليق بهم بين امم الشرق الادنى ان خمسين سنة على هذا النحو تجعل اوروبا تنحنى لهم وتطاطئ لهم رأسها ولكن للاتراك بعد ذلك الخيرة فى اعتناق دين الدنيا العام وهو المسيحية او ان يبقوا على دينهم الاسلام ولكن على شرط ان يهذبوه ويصلحوه على طبق المبادئ المسيحية او اليهودية بمعنى ان يجردوه من خرافاته وخزعبلاته التى كانت سببا فى القضاء على كل من دان بدينه

ه . ه . جولتون

وقفة تركيا الاخيرة

المذابح البلقانية

جاءنا نص الخطابة التى القاها تحت هذا العنوان فى جامعة لندرة فى ٢٤ فبراير المسيو فيليكس فالى احد كبار رجال الصحافة المجرية فنترجمها للقراء فيما يلى : —

لتسمحوا لى ايها السادة ببسط شئ قليل من تفاصيل تلك المذابح البشرية التى لم يسبق لها شبيه فى تاريخ الدنيا العام حتى اليوم . فاليكم ماقاله فى هذا الصدد بومان باشا القائد الفرنسى الذى كان مفتشا عاما لقوى الجاندرمة العثمانية فى دده اغاج :

قال : فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر نوفمبر الماضى حوالى الساعة الثامنة مساء بعد ماخلت الحامية العثمانية القليلة المدينة دخلتها على حين بغتة عصابة بلغارية تتألف من مائة وخمسين رجلا كاملى العدة . فمنذ استولى هؤلاء على المدينة ارخوا لانفسهم العنان فى ارتكاب الفظائع والمنكرات التى تقشعر لهولها الابدان فلم يتركوا تركيا او بيتا تركيا حتى اغتصبوه عنوة واتوا على جميع ما فيه نهبا وسلبا غير تاركين فيه لا طفلا صغيرا ولا فتاة ولا امرأة ولا رجلا واستمروا على وحشيتهم هذه حتى انتصف الليل ومن الاسف ان المسيحيين من سكان هذه المدينة قد اشتركوا مع هذه العصابة فى ارتكاب تلك الجرائم فقد كان كثير من هؤلاء السكان يرشدون افراد العصابة الى البيوت والاشخاص التركية . وقد كانوا يضعون صليبا ابيض على ابواب المسيحيين واذ رأى المسلمون ماحاق بهم من هذا الرزء العظيم التجأ كثير منهم وبينهم الشيوخ والنسوة والاطفال الى مسجد بالمدينة على ظن منهم ان البلغاريين يحترمون بيت الله ويقدسونه فلا يقربونهم فيه ولكن لم يكن فى البلغاريين من يعرف الله ولذلك تتبعوهم وحاصروهم فى المسجد فلما ان ضاق بالمحصورين الحال اطلق احدهم مسدسه على نفر من العصابة فارداه قتيلا فلم يكد القتيل يسقط على الارض حتى امطر البلغاريون المحصورين نارا حامية جعلت جثث هؤلاء المساكين تتساقط فوق بعضها . ولم يكف البلغاريين ذلك بل اخذوا يرمون المسجد بالكرات الديناميتية المهلكة حتى اهدموه وقد كان المنظر فظيعا جدا الدرجة لا توصف . ولقد وجد المسيو بومان فى صباح ذلك اليوم عندما ذهب ليرى اثر هذه الحوادث ان اكثر من خمسة وعشرين جثة لا تزال على الثرى ظاهرة من بين انقاض المسجد غير التى سترتها

هذه الانقاض. واليكم نص ما كتبه المسيو بومان نفسه عن هذه الحادثة ليكون اشبع لنفوسكم :

قل : لجأ بعض الاتراك (وعددهم ثلاثون) الى مدرسة للقساوسة الطليانيين فاكتشف الاروام امرهم فسارعوا الى رجال العصابة البلغارية وابلغوهم الخبر فى الحال فذهبوا مسرعين الى القسيسين يطلبون منهم تسليم من التجأ اليهم من الاتراك ولكن هؤلاء لم يقبلوا ورفضوا طلبهم بتاتا ولكن احد الاتراك اللاجئين وهو رضا بك مندوب الحكومة العثمانية فى شركة السكة الحديد الفرنسية سلم نفسه فى الحال لهؤلاء السفاكين القتلة وذلك خوفا من ان تمسك القساوسة الطليان بهم قد يجلب عليهم سوءا او ضررا من رجال العصابة .

فلما ابتعد البلغاريون بفريستهم خمسين مترا من المدرسة الطليانية او قفوه بينهم وسيوفهم مسلولة وسألوه تسليم جميع ما يملكه من النقود وان يرشدهم بعد ذلك الى منزله . ولكن رضا بك الذى اعرفه معرفة شخصية (وله زوجة شابة فى مقتبل عمرها وطفل صغير) وهو من الشبان المهذبين الراقين تنبأ بما سيحيق بعائلته من الاخطار التى لاشك فيها ولذلك فضل الانكار بتاتا فانحى عليه هؤلاء بسيوفهم حتى سقط على الارض قتيلا . ولقد رأيت بعينى رأسى احد الذين قتلوه قد اقتلع حذاء ذلك الفقيد وملبسه فى الحال . وقد بقيت جثته فى مكانها خمسة ايام وفى كل يوم كان بعض البلغاريين يأخذ من ملابسه قطعة قطعة حتى كانت جثته فى آخر يوم عارية الا من قميص ولباس مضرجين بالدماء .

ولقد رجع رجال العصابة الى قساوسة الطليان وطلبوا منهم تسليم جميع ما لديهم من النقود والا اتوا عليهم قتلا. فاذعنا لهذا الامر وخوفا من العاقبة السيئة التى تنشأ عن رفضه سلم الآباء مالديهم من المال وقدره مائة ليرة عثمانية فاخذها هؤلاء وانصرفوا .

وعدا هؤلاء الطغام الذين امتد شرهم فى كل صقع والذين كانوا يسبقون فى العادة الجيش البلغارى لاحتلال القرى والمدن توجد اللصوص المحلية وهم جميع العنصر الرومى القاطن بالمدينة الذى بمجرد ما اشتم خبر ذهاب الحامية العثمانية بدأ يمزق حرمة البيوت الاسلامية ويرتكب فيها المنكرات وكذلك المساجد ودور الحكومة . فما وجد امامه فراشا او سلاحا او اثاثا الا وضع يديه عليه . ولقد

دام هذا الحال فى المدينة ثمانية ايام كاملة ولم ينقطع هؤلاء الوحوش عن ارتكاب الجرائم والموبقات الا وقت ان اخذ العلم الفرنسى يظهر فى عرض البحر فوق الدارعة (جيريان دى لاجرافير) وبظهورها اختفت اللصوص وعاد السكون لنصابه :

لقد كان الاروام الساعد القوى لرجال العصابة البلغارية فى جميع ما ارتكبوه من القتل والسلب ولقد رأيناهم يقيمون المراقص احياء لتلك الليلة الرهيبة التى دخل فيها البلغاريون المدينة . ولقد كان سلوك الاروام ازاء الاجانب مزريا جدا فقد اهانوا المسيو (برجوبيون) وكيل قنصل النمسا ووكيل شركة اللويد وطلبوا من جميع المحلات الاجنبية ان تقفل ابوابها حتى تأخذ مكانها محلات يونانية

واذ علم الجيش البلغارى الذى كان يعسكر قريبا من المدينة التى وضعها تحت رحمة رجال العصابات بوصول الدارعة الفرنسية سارع الى احتلال المدينة فلما حضر قبطان الدارعة ووجدان فى المدينة قوى نظامية رأى ان لافائدة من انزال بحارته للبر ولذلك ترك المدينة وذهب الى كافالا حيث كانت تجرى فيها نفس هذه المظالم وعلى اى حال فقد كان للضباط الفرنسيين الوقت الكافى للنزول الى البر ومعاينة الحالة الوحشية التى كانت عليها المدينة وقد اخذ بعضهم صورا شمسية لبعض المناظر التى بقيت من آثار حماة المسيحية فى القرن العشرين ! ! !

واذ حضر الجيش البلغارى واحتل المدينة بالفعل ذهب الآباء الطليان الى الجنرال (جنف) وشكوا اليه ماحل بهم على ايدى رجال العصابات البلغارية ففتح لهم محضراً واجرى تحقيقا انجلى معه الامر على ثبوت التهمة ضد هؤلاء البلغاريين حتى انه وجد ايضا سبعين جنيها باقية من المائة التى سلبوها من الآباء .

ولكن بعد هذا كله وبعد ظهور الحقيقة ناصعة فان حضرة القائد لم يقبل رد المبلغ لاصحابه وقال لهم « بما ان فى عزمنا اقامة اثر جنودنا فى هذه الحرب فسأحتفظ هذا المبلغ على ذمة هذا العمل »

وقد حدث ان احد قساوسة اليونان جمع النسوة التركيات فى المدرسة اليونانية بقصد ان يحميهم شر غائلة ذوى القلوب الصخرية من البلغاريين وسواهم فلما ان علم الجنرال (جنف) بهذا الترتيب فكر ان يجبر هذا القسيس (من طريق شرعى الظاهر) على اخراج النسوة فطلب اليه اخلاء المدرسة لاسكان الجنود البلغارية مكانها وقد تم ذلك بالفعل واخرجت النسوة فى حالة من الفزع

والهلع يصعب وصفها وقدامهن بالمسير الى بيوتهن حيث كن واعطين الامان بان لا خوف على حياتهن وجميع ماملكن . ولكن ما اختفت الغزالة وراء الحجاب وارخى الليل سدوله حتى نكث البلغاريون العهد وانسابت الجنود . البلغارية انسياب الافعوان واخذت تقتحم ابواب النسوة المجردات من السلاح والنصير وتهتك اعراض السيدات وتفض بكارات العذارى وتفسق فى الاطفال وبالجملة فلم تدع هذه الوحوش الضارية انسانا — انثى اورجلا — الا ارتكبت معه اشد المنكرات وافظعها . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان التى كانت تبدى اقل معاوضة لارتكاب الفحشاء معها كانت تغتصب عنوة ثم تساق الى القبر فتدفن فيه وهى حية .

هذا هو النموذج الذى تسير عليه الفظائع البلقانية وان بقية التقرير كلها على هذا الشكل بل اشد وافظع .

ولقد نشرت جريدة (غازت دى فوس) فى عددها الصادر يوم ٧ يناير كتابا لاحد القساوسة (يربو) المقيمين فى سالونيك جاء فيه « ان البلغاريين قد ذبحوا الاهالى الاتراك بالآلاف المؤلفة . وان العصابات البلغارية قد ارتكبت من الفظائع مالا يمكن وصفه »

وقد نسف جامع كومانوفو بالديناميت . وفى طريقك الى بالكودا كنت ترى قبور الاتراك الذين ماتوا من شدة الجوع والبرد (ورؤوسهم ظاهرة من القبور) وفى مدينة متشينيتشافر ذبح جميع الذى لجأوا الى المسجد للوقاية من شرور العصابات البلغارية وفى مدينة فيوكا قتلت العصابة البلغارية التى على رأسها (دامبالوكو) خمسمائة مسلم ومسلمة بينهم اطفال لا تزيد سن الواحد منهم عن ثلاث عشرة عاما بعدما فسقوا فى الجميع ولقد رأينا ابطال البلغاريين بعد هذه المواقع — اوبالاحرى المذابح البشرية — يذهبون الى سالونيك ويلعبون بالذهب الذى غنموه من المسلمين لعب الصبيان بالأكر

وفى كلستش ذبح طبيب عثمانى بعد ان اجبر على حضور اغتصاب زوجته على يد ضابط بلغارى . وفى باجدانترا وضعت احدى العصابات البلغارية ستين مسلما فى احدى الجوامع وبدأت تذبحهم الواحد بعد الآخر على مرأى من الجميع .

وفى بترو كانت العصابات البلغارية تقبض على الفتيات التركيات وتفتض بكارتهن على حضور امهاتهن . فهل تعتبر هذه الاعمال الوحشية من الفضيلة فى شئ وهل هذا هو منتهى ماتصل اليه المدنية المسيحية فى القرن العشرين ؟؟

اللهم انك اعلم ان هؤلاء ليسوا من الانسانية فى شئ ! .

اسباب انحلال تركيا

كانت هذه الحرب الطاغية الاثيمة لاتكون ضربة قاضية لو انها لم تفقد فيها الدولة غير مقدونيا والبانيا . لان سيادة الدولة على هاتين الولايتين كانت سببا من كبر اسباب متاعب الدولة فى سنيها الاخيرة .

لقد كانت معاهدة (سان استيفانو) بالنظر للمصالح العثمانية اخف وطأة من معاهدة برلين التى كانت فى الحقيقة رمزا على ضعف السياسة الاوروبية فى ذلك الحين . ان تركيا لم تجن شيئا من بقاء مقدونيا تحت نفوذها منذ ١٨٧٨ . بل بالعكس كان بقاء مقدونيا فى حوزتها حملا ثقيلا عليها اذ بلغ ما أنفقته الدولة فى ربوع مقدونيا من ذلك الحين حتى الان ما يربو على الستين مليونا من الجنيهات كانت الدولة فى امس الحاجات لصرفها فى وجوه الاصلاحات النافعة ببلادها فى اسيا . كذلك ضحت الدولة فى ميادين مقدونيا خيرة شبانها الاقوياء ذوى السواعد المفتولة والنفوس الكريمة والسجايا المحمودة .

كانت بلغاريا منذ ثلاثين عاما تستعد لحرب ضد الدولة العلية فضياع مقدونيا كان نتيجة لابد منها وخصوصا امام اطماع المهاجمين .

ان ضعف تركيا فى مقدونيا والبانيا كان امرا معلوما لجميع الخلق . ولكن الامر الذى يستوجب الدهشة والاستغراب هو السهولة الخارقة للعادة التى افتتح بها المهاجمون هاتين المقاطعتين . ان السبب فى ذلك ان المتفقين كانوا قد مهدوا الطريق لانفسهم بين سكان هاتين المقاطعتين ولان الاتراك اخذوا على غرة من نفس رعاياهم المخلصين ! : لقد اشتهر الالبان بعمادتهم للحكومة العثمانية فلم يكد يسمع صدى اول طلقة من مدفع حتى وضعت العساكر الالبانية العلم العثمانى تحت قدميها فالنتيجة ان كثيرا من الالبانيين قد خانوا دولتهم تحت تأثير بريق الذهب الوهاج الذى كان يتدفق عليهم من المصادر الاجنبية التى عرفت كيف تستفيد من القاء بذور الشقاق بين الباب العالى والالبانيين

وان الطريقة التى اتبعتها الدولة فى سياستها مع البانيا كانت من اوخم واسوأ الطرق وانها لسبة كبرى فى تاريخ السياسة العثمانية سيما اذا روعى استعمالها مع امة معرضة للدسائس الاجنبية جميعها . ان هذه السياسة العوجاء كانت السبب فى ترامى الالبانيين فى احضان الاعداء فاصبحت بذلك البانيا — ذلك الجزء

الصعب المنال الحجر الضعيف فى تركية اوروبا . واليكم نص اشارتين برقيتين مرسلتين للباب العالى من قائدى فرقتين بالبانيا لتر والحالة الروحية الحربية فى البانيا .

ارسل اسعد باشا وهو مبعوث دورازو السابق وقائد فرقة اشقودرة — من البانيا — الاحتياطية ما يلى — استحلفكم بالله العظيم وبنبيه الكريم انلاتدعونى مع هؤلاء الناس وارسلوا الى جنودا تركية

وارسل ايضا محمد باشا قائد حامية برشتنه الى الباب العالى على منوال رفيقه اسعد فقال : — لعنة الله وسخطه ينزلان على رؤوس من يسمونهم باشراف. اعينونى بجنود تركية .

ولعلكم لاتنسون انفرقة البصان — الالبانية — المكونة من ٧٥١٠ البانى و٢٥٠٠ تركى هى التى رفضت التقدم لمحاربة العدو وارغمت الاتراك على التقهقر وقد وقع كثير من امثال هذه الحادثة فى جهات كثيرة من البانيا . اننى اشك كثيرا فى تأثر الاتراك لضياع البانيا ولعلهم لم يذرفوا عليها دمعا كثيرا (ولاقليلا) ويقولون الان فى بعض الدوائر السياسية بابقاء السيادة العثمانية الاسمية فوق ربوع البانيا المستقلة والاغرب والا عجب من ذلك ان الروسيا هى التى اقترحت ذلك الحل الكاذب الذى يظهر ان الدول العظمى ترغب فى مناقشته وتعديله . ان سيادة الدولة على البانيا لا تجديها نفعا بل بالعكس فانها ستكون مبعث شقاء وعناء جديدين والدولة فى اشد الحاجة لتجنبهما .

لقد كان لتركيا من التجارب المحزنة العديدة مع السياسة الاوروبية مايحملنا على القول بان بقاء سيادتها الاسمية على البانيا سيكون فاتحة مصاب جديد . فخير لتركيا ان تترك نهائيا كل سلطة او شبه سلطة لها على البانيا . خير لها ان تدع البانيا تسير فى طريقها الجديد من غير ان يكون لها بها اقل علاقة لان المستقبل مظلم. خير لتركيا التى لم يعد لها نصيب فى ادارة الشؤن الالبانية والتى لم تعرف فى الماضى كيف تحكم هذه الولاية خير لها ان تتركها نهائيا لان الامل فى بقائها سالمة من شرور هذه الولاية ضعيف جدا . لماذا تريد الدول الاوربية العظمى ان تخلط شؤن تركيا من جديد بالمسئلة الالبانية التى قد ينتج منها فى المستقبل مسائل سياسية يصعب على تركيا تحملها ؟ ولماذا تتداخل تركيا فى امر البانيا التى لم يعد يهمها من امرها شىء؟ وماالذى سيعود على تركيا من بسط سيادتها الاسمية على البانيا؟ ان هذه السيادة التركية الوهمية لاتساوى قلامة ظفر بل بالعكس ان هذه السيادة

ستكون بابا مفتوحا للدسائس الاجنبية من جديد .

ان تلك المنحة الروسية كان القصد منها ادخال تركيا فى ظروف جديدة يمكن منها القضاء عليها وليس اظهر امام اعيننا فى المشاهدات المحسوسة من المسألة الكريتية فهى درس عبرة وعظة للاتراك .

ترجع اسباب هزيمة العثمانيين فى تساليا الى سوء ادارة التعبئة . ولقد صرفت الدولة (فى صدارة احمد مختار باشا اسما وكامل باشا فعلا) اعتمادا على تأكيدات اوروبا بان الحرب لاتقع ابدا مائة وخمسين الف جندى من الاحتياطى كانت على حدود الروملى . عندما بدأت اخبار الاتحاد البلقانى تذيع طلبت الحكومة التركية من الدول الاوروبية النصيحة (!!!) وفى شهر اغسطس قدم بعض اصدقاء تركيا المخلصين الى الحكومة تقريرا وافيا عما يدور فى الخفاء من الاستعدادات الحربية العظيمة استعدادا للدخول معها فى حرب طاحنة ونصح الدولة بالاستعداد الكامل لهذه الحرب حتى لايؤخذون من وراء ظهورهم على غرة كما اخذوا من قبل فى الحرب الطرابلسية . ولكن الحكومة تركت هذه النصيحة وراء ظهرها واخذت بقول وتأكيدات الدول لها ولكنها غدرت مرة اخرى بسبب السياسة الاوروبية. وقد كانت دول الاتفاق الثلاثى اكثر الدول تأكيدا للدولة العلية باستحالة وقوع الحرب ولاسيما سفير روسيا فى الاستانة فانه كان اشد السفراء تأكيدا بهذه الاستحالة ولاشك ان تأكيداته هذه لم تكن من تلقاء نفسه بل موحى بها اليه من دولته .

وقد كتب عليم بالسياسة الاوروبية وخبير بما يجرى وراء الستار من التجهيزات الحربية البلقانية التى كانت تحت رعاية الروسيا مباشرة وبقية دول التحالف الثلاثى الى احد اصدقائه الحميمين مايأتى — « اننى الآن العب — مضطرا — فى الاستانة دورا تكرهه نفسى فانا بحكم وظيفتى اقول للاتراك خلاف ما اعلمه من الحقائق الثابتة فانا الان كالحية الرقطاء بين العشب » فتركيا رغما من نصيحة ذلك الصديق المخلص ارخت لنفسها العنان فى الاعتماد على قول سياسة اوروبا ولم تجهز نفسها للدخول فى غمرات هذه الحرب الطاحنة التى قضت عليها نهائيا من اوروبا . ولقد تبين للحكومة العثمانية (بعد خراب البصره) قيمة نصيحة ذلك الصديق المخلص فى اواخر شهر سبتمر سنه ١٩١٢ ولكن كان الوقت للاستعداد ضيقا جدا . فخيرة الجنود الاسيوية كانت قد ارسلت بالفعل الى اوطانها ولم يبق من وقت لاسترجاعها ولذلك اخذت الحكومة فى جمع كل ماتستطيع جمعه

من الجنود لتسد ذلك الفراغ الهائل الذى احدثه تسريح مائه وخمسين الف جندى. لذلك رأينا الحكومة تأخذين من تأخذهم كثيرا ممن لم يدخلوا السلك العسكرى اصالة حتى ان كثيرا ممن ذهبوا كانوا لا يعرفون كيف يطلقون البندقية على الاعداء فهزيمة قرق كليسا ترجع فى الحقيقة الى سوء التعبئة والى وجود العنصر المسيحى فى الجيش وكذلك الحال فى هزيمة لولو برغاس يرجع بهذه العوامل التى قضت على قوة تركيا قضاء مبرما . ومن المحزن ان يلاحظ الانسان فرار جميع الجنود الغير الاسلامية من الجيش العثمانى الا الارمن فانهم الوحيدون الذين ادوا واجبهم الوطنى باخلاص . فهذه العناصر الغير الاسلامية كانت فى الحقيقة رزءا ثقيلا على كاهل الجيش وعقبة كؤودا فى طريق فوزه وانتصاره

فهذه الاعتبارات تقف بنا عند نتيجة جلية ظاهرة وهى ان الجندى المسلم التركى لا يسأل عن هذه الهزائم قطعيا فهو برئ منها. وجميع الذين شاهدوا باعينهم وقعة لولو برغاس متحدون فى الرأى على ان الجندى المسلم قام بواجبه فى هذه المعركة خير قيام رغما عما كان يتهاطل فوق رأسه من المدمرات المهلكات بسبب اهمال الادارة العثمانية .

بعد ما حصل انتقال الوزارة الاخير فى شهر يوليو الغابر بسبب الكراهية الشديدة التى كانت بين ناظم باشا ومحمود شوكت باشا غير الاول معالم الادارة فى قلم المؤن والمهمات الحربية وقلم التحشيدات اذ انتزع من هذين القلمين الضباط الخبيرين الذين كانوا فيهما ووضع بدلهم ممن لا خبرة لهم بشئون هذين القلمين فارتبكت الاعمال واختلط بعضها ببعض فسادت الفوضى فى الجيش وتحمل من جراء هذا التغيير اشد ما قاساه من انواع الصعوبات والآلام المحزنة فلهذا السبب يرجع عدم نظام الجيش العثمانى وتقهقره هذا التقهقر الشنيع الذى كان نتيجة طبيعية لتلك المقدمات السيئة التى بدرت آثارها فى نفس نظارة الحربية بالاستانة ومن الطبيعى الذى لا شك فيه ان ينهزم جيش فى اشد الحاجة للخبز والرئاسة الصالحة امام جيش كامل العدد والعدد . لقد كانت الادارة العثمانية فى الجيش كثيرة الخلل لدرجة لم يسمع بها من قبل فمثلا فى ارسال الذخيرة لمدافع (كروب) ومدافع (كروسوت) حصل تبدل فنتج ان المدفعية العثمانية لم تمكن من تأدية ما كان ينتظر منها فلما ان تلاقى الرؤساء فى نظارة الحربية بعض الغلطات قامت المدفعية العثمانية باحسن ما يمكن ان تقوم به مدفعية أى دولة اخرى . ولعل

حضراتكم لم تنسوا ما لحقته المدفعية العثمانية بالبلقانيين من الخسائر فى شتالجة يوم ١٦ — ١٨ نوفمبر الماضى حيث كان يشرف على الموقعة ضابطان المانيان احدهما الماجور لهمان والآخر الكونت بريسيخ . وقد قال هذا الضابطان بان الجيش العثمانى لم ينقصه شئ ابدا من الذخائر او المؤن ولكن الطريقة السيئة التى اتبعها البعض فى توزيعها كانت هى السبب فى هذا السقوط اما فيما يختص بخلق وسلوك المسلم فجميع الاوروبيين الذين شاهدوا هذه الحرب مجمعون على امتداحه والثناء عليه فهو خال من الغلظة والفظاظة بل حسن الخلق ولطيف المعاشرة وفوق ذلك ممتلئ غيرة وحمية ومتمسك شديد التمسك بدينه .

يقول البارون (تيسكا) المراسل الخصوصى لجريدة اللوكال انزيجر الالمانية « ان موقف الاتراك فريد فى بابه جدا وجدير ان تتخذه الغير قدوة ومثلا » وكتب المسيو (جان رود) لجريدة الطان بباريس « يمكن القول بانه لا يوجد فى العالم باسره جيش يمكنه فى امثال تلك المواقف الخطيرة الهائلة والظروف السيئة المحيطة به ان يكون سريع الفهم مطيعا ضابطا لنفسه معتدلا فى تصرفاته كالجيش العثمانى . فالجند العثمانيون جديرون بالثناء الوفير وخليقون بان تتخذوا انموذجا للنسج على منواله »

فهذا هو نموذج رأى الصحافيين الاوروبيين المجمعون على احقية الجند العثمانى لما كان له فى السابق من القاب العظمة والفخار .

وانى لم اجد فى الصحف من يقدر حقيقة اخلاق الجيوش المتحدة الا فى عدد يوم ١٤ يناير الماضى من جريدة الاكلير الباريسية اذ تقول « لقد حدث حادث لم يسبق له نظير ابدا فى تاريخ الحروب ذلك ان مكانا محصورا يدافع عنه ابطال به اكثر من ثمانين الف ملكى من الاهالى لا يشتركون فى العداء الواقع يتركون من غير شراب ولا طعام حتى اتى القحط على اكثرهم فكانوا يتساقطون موتى كالذباب . عقدت الهدنة ولكن المندوبون والسفراء الذين يتمتعون بكامل الراحة ويأكلون جيد الطعام ويلبسون انعم المنسوجات وينامون على الفراش الوثير يرفضون ادخال لقمة واحدة للمدينة المحصورة او بعبارة اخرى لاولئك الذين يموتون من الجوع وتجنى عليهم انسانية القرن العشرين او المدنية المسيحية !! ولكن هؤلاء المنعمون يرضون بمرور العربات الكثيرة المشحونة بالمآكل على المدينة تحت ظلال مدافعها وسيوفها الى العدو المحاصر . يرضون بمنع دخول المؤن والذخائر . يرضون

بان يموت الرجال والشيوخ والصبيان والنساء جوعا وبردا . يرضون بان تتفشى الامراض السارية بين سكان المدينة فتهلك الحرث والنسل يرضون بكل شئ ضار ولكن لايرضون بدخول كسرة خبز واحدة . يرضون بكل شئ ويرضون ان تصل بالمحصورين القحة فيجعلوا اسم المسيح مضغة السفاهة فى الافواه ولكنهم لايرضون باطعام جائع »

هذه هى المدنية الراقية . المدنيــة الاوروبية الحدنية او بعبارة اخرى هى مدنية المسيحين فى القرن العشرين

تركيا والاصلاحات

الامر الذى اريد اثباته قبل كل شئ هوان تركيا منذ انقلاب سنة ١٩٠٨ اخذت تمشى فى طريق كان لابد من كونه موصلها الى اكبر الاصلاحات وافيدها لولا وجود اوروبا تلك التى كانت فى الحقيقة تنظر للنظام الدستورى الحديث بعين السخط و الكراهية رغماً ما كانت تبديه فى الظاهر من الرضاء والاستحسان . ان اوروبا ما كانت لتقف مكتوفة الايدى ابان هذا الانقلاب لولا ما كان يجول بخاطرها من انتظار الفرصة السانحة لخلق المشاكل وايجاد العراقيل والعقبات فى طريق نجاح الحكومة الجديدة .

لاشك فى ان اوروبا — والولايات البلقانية فى طليعتها — قد قابلت المساعى التى كانت تبذلها تركيا فى سبيل تثبيت دعائمها وتوطيد مركزها بكل سخرية واستخفاف وعدم ثقة بالمرة . ولم ذلك يا ترى ؟ لان تركيا القوية الثابتة الدعائم لا تجعل فيها للمطامع الاشعبية مجالا فقوتها وثبات كيانها سيهدمان من الاغراض الاوروبية ما ظهر وما بطن وفى هذا عقوق كبير لاترضاه اوروبا لنفسها

ان اوروبا او الحكومات البلقانية لم يتفق لها يوما ما ان نظرت بعين الرضى لتقدم تركيا وسعادتها وما كانت مطالبتهم بالاصلاح لغير اتخاذه ذريعة للتداخل فى شئون الامبراطورية الداخلية فلننظر الآن بدقة لفحص حقيقة هذا الطلب المعقد واعنى به مطلب الاصلاح الذى هو اساس هذه الحرب الطاحنة: نلقى ببصرنا على تركيا بعد انقلاب عام ١٩٠٨ فنرى جميع رجال سياستها على اختلاف مشاربهم مجمعون على ان لابقاء لتركيا بغير ادخال الاصلاحات الكثيرة اللازمة . ولم يكن الخلاف بينهم الا فى طريق تنفيذ هذا الاصلاح ومن هنا نشأ انقسامهم المقوت . ذلك الانقسام الذى

كان سببا عظيما من اسباب هذه المصيبة المدلهمة .

ولكن رغماً عن هذه الانشقاقات السياسية فان تركيا قد خطت خطوات لا بأس بها فى سبيل الاصلاح الذى كانت تتطلع اليه من اعماق صدرها لعلمها ان السير على الطريق الاستبدادى القديم لابد ان يؤدى بالمملكة الى هاوية الخراب

لقد كان حقا على القائمين بامر الاحزاب المختلفة فى داخل المملكة اذ رأوا الاخطار الخارجية تهدد مملكتهم ان يقفوا باختلافاتهم ومنازعاتهم عند حد معقول وان يتحدوا جميعا يدا واحدة ويكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا فيقاوموا الطوارئ الخارجية ودسائس السياسة الاجنبية التى اخذتهم من كل جانب . كان حقا عليهم ذلك ولكنهم يا للأسف لم يتركوا الانشقاقات الحزبية جانبا بل رأيناهم منذ الخمس السنوات الاخيرة يتقاطعون ويتدابرون حتى اطمعوا الغير فى جانبهم فكان ذلك ركنا عظيما من اركان ضعفهم الحاضر . وفى كتابى الذى سأضعه قريبا سأبين للناس حقيقة الاختلافات الداخلية وسأبرهن لكم جميعا كيف كانت للدول العظمى اليد الكبرى فى هذه الاختلافات الحزبية وكيف انها اتخذتها سلما للوصول الى غاياتها السياسية واطماعها الشخصية

والامر الذى لاازال مصرا عليه حتى الساعة هو انه رغما عن كل هذه الاختلافات الحزبية داخل المملكة العثمانية فقد امكن ذوى الشأن منها القيام باعمال جليلة سواء فى الادارة او الحقانية وهما كما تعلمون اساس نظام المملكة العام . لقد نشر مجلس المبعوثين العثمانى محضر جلسات مدته الاولى واطلعت عليه وانى لا اكتمكم ان ماقام به المجلس من الاعمال الجليلة فى بحر مدته القصيرة لايقل اصلا عما يقوم به اضرابه من احسن المجالس النيابية واعرقها فى الحرية . وان المجالس النيابية الاوروبية لتعجز عن القيام باحسن مما قام به رجال تركيا الفتاة من الاعمال المفيدة النافعة وسط الصعوبات الداخلية والخارجية التى كانت تحيط بهم من كل جانب: لقد شرعوا فى اعداد نظام ادارى يكفل حاجة البلاد وكذلك نظروا فى اصلاح القضاء وتنظيمه وبدأوا يمدون الطرق الحديدية وينشئون الطرق العمومية وغير ذلك مما تحتاجه البلاد ولكن لم يكن لدى المملكة الاموال الكافية لانهاء هذه المشاريع بالسرعة التى تتطلبها .

كيف نأخذ على تركيا عدم قيامها بجميع ماتحتاجه الامة من ضروريات

الحياة وضروب الاصلاح فى ظرف اربع سنوات وهى مدة الحكم النيابى مع اننا نعلم مبلغ حاجتها المالية الشديدة وكثرة مايعترض طريقها الى الاصلاح من العقبات التى لابدلها من التغلب عليها ؟ ؟ ان من اصعب واشق الاعمال القيام باصلاح بلاد كالبلاد العثمانية تكثر فيها العناصر المختلفة التى لايتفق بعضها مع البعض واى رجل سياسى قدير حنكته التجارب يستطيع التغلب على حالة البلاد العثمانية الراهنة من غير ان تمده بالمال الوفير ؟ لم يكن الاصلاح فى الامبراطورية العثمانية متوقفا فى يوم من الايام على وجود الرجال الاكفاء لان هؤلاء كثيرون ولكن الذى كان يؤخر اتمامه من يوم لآخر هو حاجة البلاد الى المال الوفير الذى تباشر به هذا الاصلاح .

ان اوروبا التى تظاهرت لتركيا كثيرا بحب المساعدة لم تقم فى يوم من الايام بمساعدتها (فعليا) فى تنظيم شؤونها المادية : فاى دليل تقيمه اوروبا على عجز العثمانيين عن تنظيم شئونهم مادامت لا تمدهم بما يحتاجونه من المال لتنظيم هذه الشئون ؟؟ ان القروض التى عقدتها تركيا لم تكن فى نفسها كافية لأمس الضرورات الحيوية الواجبة وكثيراً ما كان يقول الوزير الاسبق حلمى باشا للحكومات الاوروبية انها اذا كانت حقيقة راغبة عن نية صادقة فى اجراء الاصلاحات اللازمة فعليها قبل كل شئ ان تنظم الميزانية العثمانية وتجعلها مستعدة للانفاق بسخاء على المشاريع اللازمة لحياة البلاد حياة طيبة . ان حلمى باشا ورغبته فى ان يرى البلاد بخير لايشك فيها كرر على مسامع السفراء كثيرا ان الحل الوحيد للمسئلة المالية هو ان تزداد موارد الميزانية العثمانية وهذا لايكون فى الوقت الحاضر الا بزيادة العوائد الجمركية فتصبح خمسة عشر فى المائة بدلا من احد عشر . ولكن اقواله ذهبت ادراج الرياح ولم يستمع لها احد . ذهبت كل هذه المجهودات ولم تجد نفعا ومرجع ذلك الى نية اوروبا السيئة التى لاتريد الاقلاع عن اتخاذ السبل الغير الشرعية فى افادة رعاياها من جثمان الدولة العلية . وهؤلاء الرعايا الاجانب بما ساعدتهم به حكوماتهم وبما اكتسبوه من تفرق الاتراك انفسهم وتدابرهم قد امكنهم السيطرة على الامور المالية فى بلاد الدولة فقبضوا عليها بيد من حديد . اغتنى هؤلاء من جسم الدولة العلية ولكنهم لا يرجعون عن بغضها ومقتها الشديدين . ليقل لى احدكم اى يوم اوسعت فيه اوروبا النطاق للاتراك كيما يتسنى لهم مباشرة اعمالهم الاقتصادية بانفسهم ؟ ان اوروبا لم تشأ

منح هذه الحرية لتركيا رغم كل وعودها الكاذبة فكيف اذن ينتظر احد من تركيا القيام بالاصلاح الكامل فى الادارة او القضاء مع ان مسئلة الاصلاح مسئلة مالية قبل كل شئ ؟

ومع ذلك فرغما من كل هذا ورغما عن الفاقة الشديدة التى كانت فيها تركيا فقد تم كثير من الاصلاحات فمنذ بدأ العهد الدستورى كان يصرف كل عام ملايين الجنيهات الكثيرة لاصلاح المحاكم وقد ارسلت الحكومة بضع مئات من الطلبة لجامعات اوروبا المختلفة لتلقى اصول القضاء الحديث . ولكن هل تعلمون ايها السادة كم قاضيا تحتاجه تركيا ؟؟ ان بالامبراطورية العثمانية اكثر من الف وستمائة محكمة اهلية (وهذا عدا المحاكم الشرعية التى يحكم فيها رجال شرعيون) فيلزم لهذه المحاكم من القضاة الحديثين اكثر من ستة الاف قاض وللحصول على هؤلاء يحتاج لزمن طويل ومال وفير

ولكن قبل كل شئ (قبل المال والرجال) فتركيا للقيام بما يطلب منها من الاصلاحات فى حاجة كبرى لحسن طوية اوروبا والامم المجاورة لها . فهل حدث ذلك يوما من الايام ؟ ان سوء نية اوروبا وخبث طويتها لتتجلى للعيان فى هذه الايام الحاضرة فهل منكم من ينكر ذلك؟ ان بلغاريا وحليفاتها خفن ان يرين الدولة العلية دولة قوية فتقضى على آمالهن واعمالهن الثورية التى تصبح بعد القيام بالاصلاحات اللازمة من غير موجب او مقتض فلا يجدن لانفسهن مبررا او سبيلا للقيل والقال .

لم يكن غرض بلغاريا وغيرها من تجهيز العصابات البلغارية والصربية واليونانية وتسييرها الى مقدونيا وتساليا الا الغرض الاخلال بالامن العام وعدم تمكين الحكومة المحلية (الحكومة العثمانية) من توطيد السكينة فى البلاد حتى يكون ذلك ذريعة الى انتزاع هذه البلاد من ايدى الاتراك وعدم بقائها تحت حكمهم . لقد انتهزت دول البلقان المتحدة فرصة قيام الثورة الالبانية الاخيرة التى رأوا فيها الفرصة التى ينشدونها لتحقيق اطماعهم الاشعبية وآمالهم فى القضاء على ملك آل عثمان من مقدونيا . ولذلك كانوا فى حاجة لمقدمة يتذرعون بها للدخول فى ميدانهم هذا فاوعزوا لرجال عصاباتهم المنبثة فى مقدونيا وتساليا بالبدء فى ارتكاب الجرائم وقتل الابرياء وسلب الاموال

تلك الجرائم التى كانت على الدوام تقع مسئوليتها على عاتق الترك

البرئ من تلك الوحشية المطلقة . يقصد البلغاريون من ذلك اظهار حاكم البلاد في ثوب الظلم والعسف ولكن مندوبو الدول الاجنبية الذين اشتغلوا مع حلمى باشا في مقدونيا قبل الدستور العثمانى يمكنهم القول لحضراتكم بان جرائم العصابات البلغارية والصربية واليونانية كانت على الدوام تفسد ما يعمله الاتراك من الاصلاح الذى كان عن نية سليمة ورغبة حقيقية فيه . ولم تكن تلك العصابات لتقف فى جرائمها عند حدلانها نشأت فى حجر الفوضى واشربت حب الاخلال بالأمن العام وتكدير صفوه على ايدى موجديها اولئك الذين قاموا قبل اليوم فى وجه الاتراك بدعوى الدفاع عن المسيحية والانسانية . فاحفادهم اليوم كذلك يقومون باسم المسيحية والانسانية ويرتكبون الكبائر ضد المسلمين لأنهم مسلمون !!!

فجرائد العالم اجمع طافحة بتفاصيل المذابح البشرية فى مقدونيا وجميع الحكومات الاوروبية تعلم من تقارير وكلائها (قناصلها) حقيقة ما يجرى من الفظائع التى تقشعر لهولها الابدان و العالم كله ينظر لهذه المنكرات بالدهشة والاستغراب ومع ذلك فذوو الشأن فى الحكومات لا يحركون ساكنا . ولماذا ؟

ذلك لان مجرمى الصرب والبلغار واليونان يرتكبون ما يرتكبون باسم المسيحية !!! فهل رايتم ايها السادة تعصبا اشد من هذا ؟؟ الحقيقة ان هذه الفظائع والجرائم ما كانت لتقع البتة لولا انها ضد امة اسلامية فهل هذا هو مبلغ نصفة اوروبا التى تدعيها ؟ ام هى الانسانية الاوروبية الحقيقية ؟؟؟

الروحانية فى الاسلام

جاءتنا الرسالة الآتية من احد الافاضل الكبار الغيرة على الدولة والاسلام ننشرها بنصها قال

جاء الدين الاسلامى (على مبلغه السلام) باعلى درجات المدنية وأرقى سنن الحضاره ، ومن مهمات احكامه رفع التفاضل بين افراد المسلمين والمساواة بين الحاكم والمحكوم، والسيد والمسود ، انظر الى كتاب الله تجد فيه : ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وفتش الاحاديث النبوية تجدها مصرحة بذلك اجلى تصريح قال عليه السلام : كلكم من آدم و آدم من تراب وقال : لافضل لعربى على عجمى الى غير ذلك من الاحاديث الناطقة بوجوب رفع التمايز والتفاضل بين طبقات المسلمين، واذا طالعت تاريخ السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين الذين اقتدوا بالنبىء عليه السلام فانك لاتجد فرقا بينهم و بين سائر افراد المسلمين ، تجد سيد الخلائق رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس فيهم كاحدهم، يعطف على صغيرهم، ويحنو على كبيرهم، متواضعاً لهم ، ممتثلا قول الله عز وجل تعليما لنبيه : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، ويفيض عليهم من مكارم اخلاقه التى وصفه الله بقوله : وانك لعلى خلق عظيم: وتجد خليفة المسلمين رجلا منهم له مالهم ، وعليه ما عليهم، بل كان يفضل افراد المسلمين على نفسه تواضعا لهم و اقتداء بالنبىء صلى الله عليه وآله ، فان عمر كان يركب الجند الخيل العتاق ، ويركب هو الحمار ، وكان المسلمون يلبسون الرقيق ويلبس هو الخشن من اللباس ، ويأكلون الطيب من الطعام ويأكل الجشب وكذلك كان على يلبس المرقع من الثياب حتى قال يوما على منبر الكوفة : لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحييت من راقعها. ويأكل الجشب من خبز الشعير غير المنخل بجريش الملح ، ليواسى افقر المسلمين فى ذلك ، وكان كثيرا ما يقول: أأقنع من نفسى ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم فى جشوبة المأكل وخشونة العيش ، وطالما يتمثل بقول القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنة   وحولك اكباد تحن الى القد

وكان يطعن بمعاوية حيث كان مبطانا نهما يتخذ لذيذ المأكل وطيبه فيقول له: اتخذتها (الامارة) ملكا كسرويا وسنة هرقلية يعنى ان هذه الاعمال لا توافق الدين الاسلامى الذى لايبيح للانسان ان يفضل سائر افراد المسلمين ولو كان اميرا .

اعتاد المسلمون ذلك وعرفوه من سنة شريعتهم الغراء ، ولذلك نقموا على

عثمان ايثاره بعض المسلمين بالاموال دون بعض حتى اعطى اربعة من قريش اربعمائة الف دينار وخص مروان بالف الف دينار بعد فتح افريقية ، وتفضيله اقاربه بالامرة والسلطان على المسلمين حتى خالف قول عمر له : اذا وليت هذا الامر (الخلافة) فلاتسلط ابن ابى معيط على رقاب الناس، وحمايته الحمى لنفسه مع ان المسلمين شرع سواء فى الماء والكلأ .

هذه كانت سجية المسلمين ، وتلك اعمال الخلفاء الراشدين امتثالا لاوامر الشرع الشريف و اقتداء بالنبى الامين ، وكانوا اهم الروحانيين لان معالم الدين انما كانت تؤخذ منهم ، ولم يكن للروحانية عنوان فى الشرع نعم ربما كانوا ينصبون القضاة فى صدر الاسلام ولم يكن ذلك لروحانيتهم، بل كانوا يعينون الخليفة او الوالى فى هذه الازمان ، وانما كانوا يضطرون الى نصبهم مع انهم عالمون بما فى الشريعة الاسلامية من الاحكام وهم حملتها الذين ينشرونها بين المسلمين لان الخليفة او الوالى كان عمدة مايهمه الاشتغال فى تنظيم امور الجند ، والجد بالجهاد والغزو و الفتح فلايسعه حسم الخصومات التى تحدث بين المسلمين ، ولذلك كان يضطر الى نصب قاض ينظر فى ذلك ، هذه كانت حال المسلمين فى صدر الاسلام اما اليوم فانا نرى فى المسلمين اناسا يدعون الرياسة على المسلمين والزعامة فى الدين ، ولاعمل لهم ببر، ولاسعى يشكر ، ترى الرجل منهم جالساً على السجادة الرفاعية او القادرية اومتقلدا منصب الاجتهاد يفتى فى المسلمين وهو اجهل الناس، مرتديا برداء الفخر، متجلببا جلباب الكبرياء، لايحب الانسان مهما كان الا عبدا من عبيده الذين ملكتهم يمينه ، والناس يقرونه على ذلك جهلا منهم بحقيقة الدين الاسلامى ، فتراه مدليا كفيه لتلثمهما افواه البسطاء ويتبركوا بهما ، والناس منهمكون يزدحمون على تقبيلهما ازدحام الكلاب على لحوم الجيف، وربما استلم بعضهم عضادة باب دار ذلك الروحانى العاجز الذى جعلوه واسطة بينهم وبين الله سبحانه ، و اذا شاهده احدهم خضع له خضوع الوثنيين الى اوثانهم وادلى برأسه حتى يقارب الارض تعظيما لذلك الانسان الجاهل .

ضل اولئك الجهال ونسوا قول الله فى محكم كتابه المجيد : ولايتخذ بعضكم بعضا اربابا من دون الله ، ولامعنى لاتخاذ الانسان ربا الاتعظيمه هذا التعظيم الذى لايليق الا بالارباب ولايوافق اصول الشريعة الاسلامية التى تنفى التفاضل بين الناس مهما كانوا ، تلك بدعة النصارى التى جروا عليها مع رهبانهم وقسوسهم حكاها

الله عنهم فى كتابه العزيز ليحذر المسلمين من الاتيان بمثلها ويهديهم الى سبيل الرشاد. قال سبحانه : اتخذوا (النصارى) احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وذلك لانهم عظموهم تعظيم الارباب فحكم عليهم بانهم اتخذوهم اربابا ؛ والافلا يرى النصارى ربوبية احبارهم ورهبانهم .

ومما يفضى الى العجب هو ان النصارى الذين كانوا يعظمون احبارهم كشركاء الله عدلوا عن تلك الطريقة المشومة، واخرجهم نور العلم من ظلمة العبودية للاحبار والرهبان، فهم لايعطونهم اليوم تلك المنزلة التى كانت لهم قبل ، ولايحسبونهم الا كغيرهم من الناس ان لم يكونوا ادنى مع ان دينهم الذى تلقوه من اولئك القسوس والرهبان يأمرهم بخلاف ذلك، لكنهم عرفوا يقينا كذب ماكانت توحيه اليهم زوايا الاديرة وصوامع الكنائس، وان اولئك القسيسين لفقوا تلك المفتريات ليستدروا بها اموال الناس. والمسلمون الذين يعتقدون بان دينهم ينهى عن تلك الاعمال الرديئة بل يعدها شركا بالله كما نطق به الكتاب المبين — يأتون بتلك المنكرات غير مبالين بمخالفتها للشريعة الاسلامية ، يخيل لهم جهلهم انهم يدخلون بذلك الجنة ، ويشوقهم اولئك المضلون الى مثل تلك الاعمال لتشق لهم امور المعاش، وان انتقضت عليهم امور المعاد فهم لايبالون ، كأن لسان حالهم ينشد : وماعاقل باع الوجود بدين .

الروحانيون اولى الناس بالنهى عن تلك الاعمال الشركية، لانهم حملة تلك الاحكام الاسلامية التى تنهى عنها على مايزعمون ، وهم الذين يلزمهم هداية من ضل من جهال المسلمين لانهم ورثة علم النبى والخلفاء على مايدعون ، فمابالهم اقروا الجهال على تلك الاعمال المنكرة المخالفة لاحكام الشريعة الاسلامية؟ هل كان ذلك الا محافظة على امور معاشهم الخسيس واما تلذذاً بتلك الرياسة الوهمية ، والزعامة الخيالية فى هذه الدنيا الدنية .

وليت اولئك الروحيين اقنعهم فعل الهمج الرعاع وتعظيمهم اياهم ، ولم يختصوا انفسهم بالقاب الجلال والكبرياء بدعة الكافرين التى نهى الله عنها عباده المؤمنين ، ولم يرضوا لاحد ان يخاطبهم باسمائهم مجردة عن تلك الانباز الضخمة ، فاذا سميت احدهم باسمه وجدته متمردا عبوساً يدر الغضب من بين عينيه ، وهيهات ان يرضى عنك حتى تستلم يديه وتسميه نقيب الاشراف او بوستنيشين الدركاه القادرية (شيخ سجادة الزاوية القادريه) او آية الله العظمى او حجة الاسلام او غيرها من الالفاظ الضخمة التى وضعها الروحيون لانفسهم مخالفة لاوامر الشريعة المحمدية .

جمع اولئك الروحيون بين الاضداد فانهم مع مااتصفوا به من شدة العجب وفرط الكبرياء شاركوا المجانين فى البله ، فان الرياسة الدينية منوطة به عند العامة ، وكلما ازدادت بلاهة الروحانى ازداد وثوق الناس به . ومن كان عنده نصيب من العقل فلا نصيب له من وثوق الناس ، لذلك اضطر اولئك المراءون الى اظهار مايشبه الجنون من البله ليزيد بهم وثوق الناس فيحبوهم بالاموال الطائلة ويلقوا اليهم مقاليد الرياسة الدينية. أشاهد فى الجهال (وهم فى العراق كثيرون) من يتلذذون بذكر مناقب الروحيين ومكرماتهم عادين من اكبرها ، ان رجلا منهم اهديت اليه تفاحة فى غير اوان التفاح فاكلها بمحضر المهدى ولامه تلاميذه على ذلك وافهموه ان مثل هذه الهدايا لاتؤكل بل يحافظ عليها للشم والتفرج ، فبقى ذلك مرتكزا فى ذهن ذلك الروحانى الابله الى ان حضر على مائدة لبعض المثرين فقدم اليه ذلك المثرى دجاجة مطبوخة يتصاعد منها البخار لحرارتها على رغيف خبز ، فاخذها ذلك الروحانى والمرق الحار يتقاطر منها فوضعها تحت ابطه بين ثوبه وجلده فصار المرق يتقاطر على جلده ويلذعه لحرارته وبقى معذبا يقاسى حرارة ذلك المرق وهو يقول: لاحول ولاقوة الابالله ، ما انا والملوك، ومالنا والهدايا حتى بردت الدجاجة ، ولما فارق المجلس لامه تلاميذه على هذا الفعل فصرخ بهم قائلا : لقد حيرتمونى. ما اصنع ، احافظ على الهدايا فتلوموننى على محافظتها ، واآكلها فتلوموننى على اكلها ، ولولا انتم لما قاسيت ذلك العذاب الاليم من حرارة تلك الدجاجة . هذا مثال مما يرتكبه الروحيون البله من اظهار البله ليخدعوا به البسطاء ويغروهم ، والذى يزيد رغبتهم فى هذا الجنون تلذذ العامة بنقله وحسبانه من اكبر المعجزات قائلين : هكذا اولياء الله ، لاشك ان هذا من اكبر الروحانيين لانه اشدهم بلاهة ، فلا تستغرب صدور امثال هذه الافعال منهم لا لبلاهتهم بل لتبالههم لجلب الناس اليهم والمحافظة على رياستهم .

جعل الله (سبحانه) النبىء على اكمل مايكون عليه الانسان من العقل ، واعطاه الحكمة وفصل الخطاب ، ونزهه عن كل نقص حتى عن السهو والنسيان ، كل ذلك اهتماما بالاحكام ومحافظة على تبليغها . وهذه الاحكام التى حافظ الله سبحانه عليها تلك المحافظة اضاعها الجهال بتسليمها الى من رأوه انقص الناس عقلا واشدهم بلاهة ، فجعلوه رئيسا فى الدين، ومبلغا احكام سيدالمرسلين ، ولم يعبأوا بان من لايميز بين التفاحة والدجاجة كيف يؤتمن على احكام الشريعة .

اضطرت العامة اولئك الروحانيين فباعوهم عقولهم بتلك الرياسة الموهومة والاموال التى يتسلمونها من الناس لكن لم تسغ لهم تلك اللقمة الدسمة، بل ترددت فى حناجرهم، ودفعت بالدعاف المقر ، لانهم لم يتركوهم يتلذذون بتلك الاموال بتلطيف الاكل والشرب واللبس بل اشترطوا عليهم ازياء قذرة منفورة : ان يكون الروحانى كبير العمامة المكتنفة بالاوساخ حتى تسود فان لم تكن كثيرة الاوساخ فلا بدان تلوث بالتراب، مصفر الوجه يعلوه الغبار، اعمش العينين تذرف من مآقيهما الدموع، متشكل اللحية يجرى من بينها العرق الاسود ، رث الاطمار والثياب الخلقة ، نحيف الجسد ، قالوا : هذا هو الزهد ولم يعلموا ان ذلك هو القذارة التى نهى عنها فى الشرع ، ليتدبروا نعت النبىء والخلفاء وصفتهم يجدوهم فى غاية النظافة والانق وان هم لم ينالوا فى الاطمار ولم يتخذوها من الاوساخ ، ولم يهبوا للقذارة لحومهم وللتحف والاصفرار ابدانهم ووجوههم ، بل كانوا اقوياء اشداء فى غاية الشجاعة ونهاية الجراءة ، شديدى البطش فى الحروب، عظيمى المراس فى المعارك، حكماء علماء ، غير طائشى العقول، مغلولى الايدى كهؤلاء الروحانيين المجانين القذرين الذين عاشوا فى الدنيا عيشة الفقراء ، وهم يحاسبون فى الآخرة حساب الاغنياء لانهم جمعوا اموال المسلمين ولم يصرفوها فى سبيل الله فبقى عليهم وزرها ولم يستطيعوا ان يتنعموا بها فى الدنيا اذ لا يسعهم ان ياكلوا بها هنيئا طيبا ويشربوا صافيا سائغا غير محتجبين عن الناس مختفين عن اعين النظار ولايمكنهم ان يلبسوا جيد اللباس المنزه عن القذارة لوجوب تزيهم باقذر الازياء، وتحريمهم زينة الله غير مبالين بقوله : قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده فكانوا كبنى اسرائيل حيث حرموا على انفسهم ماكان حلا فى شريعتهم كأن الشريعة الاسلامية قد حظرت على معتنقيها وخصوصا الروحانيين ان يتجلوا بتلك الازياء المنفورة سبحانك اللهم ان هذا الااختلاق فى الدين ، وافتراء على الشرع الشريف الذى اباح للناس جميع اصناف اللباس وضروب الازياء .

بمثل هذه الاعمال المباينة لنصوص الشريعة الاسلامية تمكن الروحانيون من مشاركة الناس فى اموالهم ، واختلاسها نهارا باسم الدين فانك لا تجد ميتا يموت حتى ينقل ثلث ما يملك الى احد الروحانيين من غير ان يطالب بصرفه اوان ينظر فى موارد بذله لان الروحانى مامون فى ذلك بعد ان كان ابله قذرا فلا يتطرق اليه احتمال التفريط ؟ والتساهل فى صرف تلك الاموال

فى سبيل الله وسد عوز المسلمين ، ويزف الميت فى دار النعيم بمجرد وصولها اليه ، ولذلك نجد الروحانى متظاهرا بكل مايلزم الروحانية من البلاهة والقذارة التى يسمونها زهدا مبطنا للخداع والغرور والتزوير ، ولايبالى بعد ذلك اذا كان جاهلا لايعلم شيئا من اسرار الشريعة الاسلامية ، ولايتعقل حكما من احكامها، فاذا سئلته وهو لا يعلم شيئا عما يعلم عرض ونأى بجانبه واذا اهمه التخلص منك ان انت طالبت بالجواب سارع الى الحكم بتكفيرك وقال ان هذه المسئلة مخالفة للشريعة لايسئل عنها الاكافر وتخلص بذلك عن كل سؤال يرده،هذه صفة اولئك الجهال الذين سموا انفسهم الروحانيين وازياؤهم .

اما اعمالهم فكان الواجب عليهم ان يجد واتحصيل العلوم والفنون، ويقوموا بنشر التعاليم الدينية ، وبث الوصايا الاسلامية بين المسلمين فيهدون الناس الى حقيقة الدين الاسلامى وما يوجبه على كافة معتنقيه من الذب عن بيضة الاسلام وحماية حوزة الدين ومقاومة اعمال المبشرين فى الممالك الاسلامية واظهار كذبهم وافترائهم على هذه الديانة المنزهة عن شوائب الريب . لكن الروحانيين تركوا كل ذلك وتجلببوا جلباب البطالة ولم يهمهم درس العلوم الدينية ولا غيرها، بل هم يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع ، كل على الناس يتجولون فى المجالس والمنتديات مع البطالين من غير ان ياتوا بعمل مفيد للمسلمين . يكتسب عامة المسلمين ليلهم ونهارهم ويتعبون انفسهم بتحصيل القوت لهم ، فيفوز اولئك المتشردون بالراحة دون جدوا كتساب . ومن هؤلاء مايربى على عشرين الف نسمة فى العراق بين النجف وكربلا والحلة وبغداد والكاظمية والاعظميه وسامراء لاعمل لهم ولا اكتساب وهم يتعيشون بارفه عيش باسم الدين الذى حرم عليهم البطالة واوجب لهم التكسب لئلا يكونوا كلا على الناس . ويا حبذ لو نفذت الحكومة قانون المتشردين فاراحت المسلمين من سر اولئك الجهال البطالين الذين جعلوا مال الله بينهم دولة وبخلوا على المسلمين بالارشاد ونشر التعاليم الدينية والدين الاسلامى يوجب على كافة متبعيه الذب عن حرم الاسلام ويحرضهم على مواصلة الجهاد وبذل الاموال والانفس فى سبيل اعلاء كلمة لله فلو ان الروحانيين جدوا بنشر هذه الاحكام وحثوا الناس على العمل بها لرايت مايربى على ثلثمائة وخمسين مليونا من المسلمين يذبون عن شرف الاسلام ولما سقط الاسلام الى هذه الهوة العميقة التى يوشك ان يهلك فيها . ان رجلا واحدا من الروحيين

اطاع الله وعصى هواه فقام بواجبات الدين ودعا المسلمين الى الجهاد فلباه الناس وطلبوا مرضاة الله ، وصاروا يحامون عن اوطانهم ويوشك ان يجلوا اعداءهم عن بلادهم . فلوان كل الروحانيين كالسنوسى لكانت كل المستعمرات الاوروبية كطرابلس ، ولما طمعت اوروبا باستعمار باقى الممالك الاسلامية ، ولما تجاسر وعلع الغرب على العبث بالمسلمين ، لكن انى لنا بذلك وهؤلاء الروحانيون لاهون لايهمهم امتثال الاوامر الشرعية يقنعون من دنياهم بالاكل والشرب شأن البهائم العجم .

هذه اوروبا قدا غارت على الممالك الاسلامية ، وجدت بملاشاة الاسلام ، فمن غار من الروحانيين على دينه ووطنه ، وتقدم الناس الى الجهاد وحضهم عليه كما تفعل القسوس والرهبان الذين حملوا الصليبان وتقدموا امام امهم الى الحرب . علماء الشيعة لايهمهم الا التبله والاكثار من قول : اصل البراءه ، اصل الاستصحاب ، الاصل المثبت الى غير ذلك ، وعلماء السنة لاعمل لهم الا التنزه والتفرج والجد بتلطيف الاكل والشرب وقول جاء زيد .مات عمر .الفاعل. المفعول الى غير ذلك ، لكن علماء الشيعة (والحق يقال) اكثر اهتماما بهذا الامر من علماء السنة فانهم حين طرق سمعهم احتلال ايطاليا طرابلس واعلانها الحرب فارقوا اوطانهم واجتمعوا فى الكاظمية صغيرهم وكبيرهم يحثون الناس على اعانة الدولة بالاموال والانفس حتى نقلت اقوالهم الجرائد ونشروا فى ذلك النشرات التى تبين منويات اوروبا السيئة ، لكن لم تجمع اقوالهم فى قلوب المسلمين ، ولم تؤثر نشراتهم فى نفوسهم لمخالفة بعضهم بعضا فى ذلك ورده اقوالهم اقبح رد ، ذلك هو السيد كاظم اليزدى من قاطنى النجف فانه وقف لاقوال العلماء بالمرصاد مدافعا عن اوروبا مبررا جميع اعمالها مظهر انها لاتريد سوءا بالمسلمين. ولفرط جهل المسلمين وميلهم الى الراحة ،والفرار عن بذل الاموال والانفس وتحمل تلك المشاق كانت تروج لديهم مفتريات ذلك الخبيث عدو الدين والوطن ، فلم يعيروا الكلمات العلماء اذنا واعية ، ولما شاهد العلماء ذلك رجعوا الى معاقلهم آئسين من صلاح حال المسلمين ، وبقى ذلك الخبيث يرد عليهم ويصرح بعدم وجوب الدفاع والجهاد على المسلمين والحكومة لم تتعرض له بسوء فلما وافق اميال العامة رجع اليه كثير من الجهال وناولوه طرفا من رداء الرياسة الدينية حتى صار عقبة فى سبيل العلماء الى حفظ استقلال المسلمين ،

وكان يتمسك على ذلك بحجة موه بها على العامة فان فقهاء الشيعة قسموا الجهاد الى قسمين باعتبار الزمان (١) الجهاد فى زمان النبى وسموه الجهاد وذكروا له احكاما وشروطا (٣) الجهاد فى غير زمن النبى وسموه دفاعا اصطلاحا فقهيا وذكروا له احكاما وشروطا غير الاول وانما فعل الفقهاء ذلك لاشتراط وجوب الجهاد عندهم بشروط كالصحة من المرض والعمى والعرج والذكورة ووجدان ماينفق واغير ذلك وعدم اشتراط وجوب ذلك فى الدفاع فانه يجب على المريض والصحيح والغنى والفقير والمرأة ومن والرجل والعبد والحر ، فلذلك قسموه الى قسمين ليذكروا لكل قسم احكامه وشروطه قالوا : فلايجب الجهاد الا فى زمن النبى فموه ذلك الخبير ؟ بهذه العبارة وقال ان الفقها صرحوبعدم وجوب الجهادفى هذه الازمان وبين قول الفقهاء بعد ذلك ويجب الدفاع على كافة المسلمين مبنى دهمهم عدو . جاهر ذلك الخليث بامثال تلك « فاوبل التى تخذل المسلمين ولم يعارض احد ث زلك عددى الحر الكريم المراقب لاعمال المفسدين جمال بك والى بغداد الاسبق وعزيز بك قائممقام النجف سابقا ، ولكن معارضة حذيفة فعلماء الشيعة وان كانوا ملومين على سرعة يامهم وقنوطهم مقصدين فى اخلادهم الى السكون بعد تلك الحركة — قد يشكرهم العالم اسلامى لمد زمؤلم السكون سابقا ولاحقا . هذه اعمال الروحيين فى قبال الاعداء الذين اغاروا على الدين وسولت لهم انفسهم المحال فجدوا بتنصير المسلمين على ايدى المبشرين ولفقوا المفتريات على الدين الاسلامى واعابوه بها — فلم نر من المسلمين من قابل تلك الاعمال واظهر على الاقل مفتريات اولئك العتوس على الدين الاسلامى .

ارى الوفا من الصحف السيارة والكتب طافحة بالافتراء على الشريعة الاسلامية ولا ارى كتابا واحدا يتكفل برد تلك المفتريات عدى كتاب رأيته تحت عنوان (الادلة العلقلية على اشرفية الشريعة المحمدية) لمؤلفه ابراهيم الراوى يستدل فيه على اشرفية الشرفية الشريعة الاسلامية باشرفية معتنقيها على سائر الناس لان فى جملتهم القادرية والرفاعية ولديهم معاجز تعجز البشر عن الاتيان بمثلها كضرب السكاكين والخناجر فى ابدانهم دون ان يخرج الدم .

تقرير الدفتور ارنست جاك

عن جريدة جرمانى فى ٥ فبراير ١٩١٢

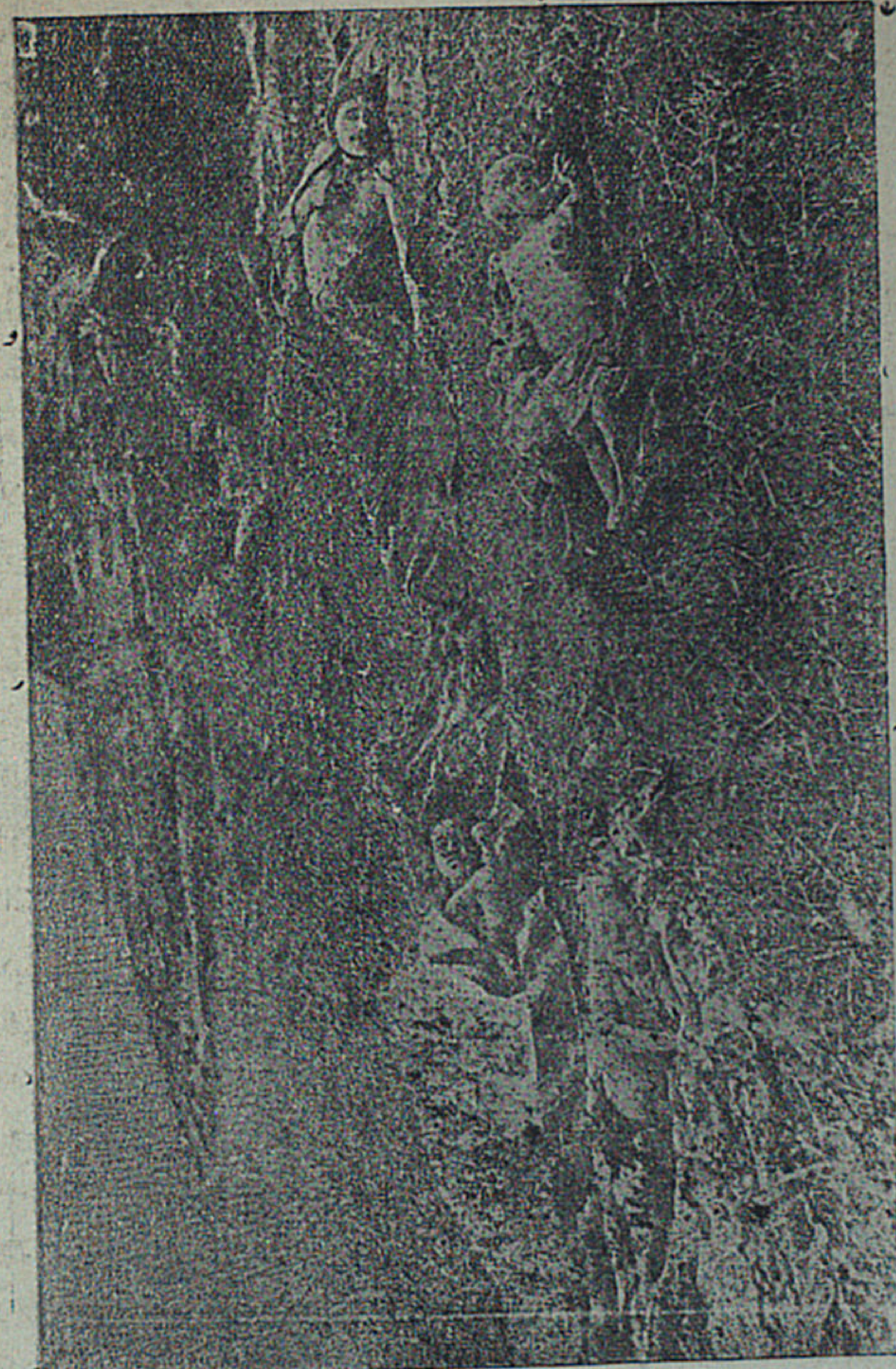
قد بلغت الفظائع البلقانية درجة ليست بعدها درجة فاذا كانت اوروبا المتمدنة تريد ان تكون لائقة لتوسيمها باسم المدنية وجب عليها ان لاتدع الاشتغال والتأمل فى الفظائع البربرية التى ارتكبها جنود حكومات البلقان المتفقة .

كتب الدكتور شيمان فى مجلته الاسبوعيه كروزايتنغ (جريدة الصليب) ان الدفتور ارنست جاك نشر كتاباً تحت عنوان «المانيا فى الشرق بعد حرب البلقان» ذكر فيه مايأتى : «ان الاعمال الوحشية والفظائع المدهشة التى اجراها البلقانيون والتى لم يسبق لها مثيل فى جميع الحروب المتقدمة ظهرت تماماً من طى الخفاء بتقارير ومكاتيب اناس معتمدين شاهدوها باعينهم من مأمورين المان وقناصل وغيرهم وهذه التقارير رسمية ومثبتة بالصور الشمسية فنى احد هذه المكاتيب قرأنا هذه العبارات :

« فالذى يرتكبه البلغار فى الوقت الحاضر تجاوز سيئات الاتراك بعشر مرات والذى يشاهد ماهوجار فى مكدونيا يظن نفسه



ضابط عثمانى مثل به البلغاريون ثم ارسلوه الى المعسكر العثمانى



كيف يترك الصليبيون نساء المسلمين اطفالهم على الارض

فى دور المهاجرة العمومية فى القرون الاولى وان طائفة الهون من البرابرة قد عادوا هذا اليوم او يخال نفسه فى ايام الحرب المذهبية (حرب الثلاثين سنه) فالرجال الذين بقوا فى القرى قتلوا والنساء والبنات هتكت اعراضهن والقرى نهبت واحرقت والحاصل فان النفوس التى «

نجت من السيف والمدفع افناها الجوع والبرد» ولكى لا يظن انى ابالغ فى كلامى فلنأت ببعض امثلة من تلك الاعمال: هتكت بعض ضوارى البلغار فى قرية زوبو عرض ابنتين امام اعين والديهما فالوالدة المسكينة من تأثرها قتلت اثنين من البلغار بالرصاص فحينئذ ابتدأت الفجائع التى يعجز عن بيانها القلم بالنتيجة . جمع البلغار نساء وبنات القرية فى قهوة وحرقوهن غير متأثرين من صراخهن المفتت للاكباد . والا فقطع من هذا ان عصابات بنو نيكولو ودده دوتشو البلغارية عمدوا الى تلقين هذه الضحايا النصرانية قبل احراقها .

وقد دفنوا عشر بنات احياء فى قرية اشكال من اعمال قضاء قلقيش .

وكتبت سيدة نمساوية مكتوباً الى اخيها من قواله قالت فيه : « حبس كثير من اهالى البلدة واعيانها لا ذنب لهم سوى انهم مسلمون وقد حكم عليهم باحكام قاسية بدون دعوى وفى نصف الليل ايقظوا هؤلاء من نومهم وربطوا كل ثلاثة مجتمعين ثم انهال عليهم البلغار بضرب السياط ووز الحراب كأنهم حيوانات وذلك بعد ان نهبوا ملابسهم ولم يتركوا لكل احد الا القميص وكان بين هؤلاء المحبوسين كثير من الاولاد والشيوخ والنساء . قرر المسلمون فى محل سرز الدفاع عن انفسهم واثناء ذلك قتلوا جنديين وحينئذ اخرج الضابط البلغارى ساعته من جيبه وقال للجنودها هى الان الساعة الرابعة والى الساعه الرابعة من نهار غد اسمح لكم بان تفعلوا بالمسلمين ما تشاؤون فهؤلاء الضوارى قتلوا فى ظرف الاربعة والعشرين ساعة ١٢٠٠ وفى رواية اخرى ١٩٠٠ نسمة من الاتراك . »

وقال الميرالاى (وايت) ان البلغار حرقوا جميع بيوت المسلمين من شطالجه الى ادرنة وبعكس ذلك كانت تلك التقارير مصرحة بحسن معاملة العثمانيين وابتعادهم عن كل مايشين الشرف العسكرى والى ذلك اشار اليوز باشى (راين) فى تقاريره وانى اذكرها بعض فقرات منها «ان الاتراك شعب ذو شرف وفضيلة وشجاعة» وختم تقريره بهذه العبارة وليسوا سوية فى المدنية الاوروبية ونؤمل ان هذا الشعب يجد الفرصة اللازمة لان يجدد كيانه ويترقى بحسب قابليته ومزاياه الفطريه لانه شعب متدين وصادق وذو شرف وشجاعة» ثم اتى فى آخر التقرير بهذه الكلمة لبسمارك « الاتراك هم نبلاء الشرق الوحيدون » .

واى عار للنصرانية اعظم من ارتكاب جنايات وفظائع فى حرب اعلنوا انها مقدسة ولا شك فى ان النصرانية الحقيقية التى هى عبارة عن بعض تذكارات لم يلحقها عار وحقارة الى تاريخنا هذا مثل الوصمة التى الصقها بها وحوش البلقان وفى المدة الاخيرة التى المسيو نسيور بوجلن الواقف على احوال البلقان محاضرة فى الدين والحرب البلقانية منذ حرب الثلاثين سنه (الحرب المذهبية) لم تحدث حرب تاريخية تهم عامة الكون

تحت اسم ولواء النصرانية كالحرب الحاضرة نال الاتفاق المثلث جميع غاياته فالتحالف البلقانى والحرب الحاضرة والفعالية السلافية هى حلقات سلسلة يطوق بها عنق ويانه وتوقفها عند حدود الشرق اخبرنى احد الساسة القاطنين بالاستانة انه قتل فى الحرب البلقانيه قدر ٢٠٠٠٠٠ نفس وهتكت اعراض النساء امام اقاربهن وقد تزوج البلقانيون ببعض النبات ثم قتلوهن لاجل الحصول على اموالهن واحرقت القصبات ونهبت وفى بعض الجهات جمع الرجال والنساء فى الجوامع واحرقوا ودفن اكثرهم احياء . والان حيث ان قوى البلقان تضعضعت فهو يرجح الاستراحة قليلا على الاسراع بتقسيم مملكة النمسا. ان ضعف الحكومه النمساويه سيكون مصيبة على العالم . كانت تركيا فى المدة الاخيرة تريد بالكنيسة خيراً محافظة على حيادها التام نحوها فالنفور الان فى الروسيا موجه نحو ويانه وروما وصحف الروس دائما تلهج بهذه العبارة (بيزانس مقابل روما) والوضعية التى اكتسبتها الكنيسة فى البلقان فال خير لان الصربيين يسعون الان فى عقد اتفاق مع كنيسة روما لاجل توسيع ساحة استقبالهم وعمل الصربيين هذا سيلفت انظار السلافيين فى الممالك الشماليه وهناك الطامة الكبرى فالغالبون فى الحرب البلقانيه هم عدة ملوك يسعون لتحكيم سلطة تيجانهم بتخريب البلاد واهلاك العباد .

وفى الحقيقة ان اعظم مغلوب فى هذه الحرب هو انجيل المحبة الانسانية والعدالة .

ونظن ان ماسردناه كاف فاسترى خجلا يا اوروبا !!

ونشر الدكتور ارنست جاك كتاباً عنوانه « المدنيا فى الشرق » وقد خصص فيه فصلاً للمظالم التى ارتكبتها دول البلقان مستنداً على وثائق وبراهين قاطعة وهاك ما كتبه فى مقدمة ذلك الكتاب :

« لو كان الاتراك وحدهم ضجوا من المظالم التى يرتكبها البلقانيون لداخلنا الشك فى ان هذه الشكايات فيها مبالغة . لكنه توجد بايدينا براهين رسميه وصور شمسيه تثبت تلك الفجائع وان تلك البراهين والوثائق وضعها من شاهد تلك الفجائع بعينيه من الاجانب المأمورين الالمانيين والفرنسيين ولكن مع الاسف لا يمكننى ان اذكر اسماءهم بناء على رجائهم منى ذلك لانهم يدركون حقيقة درجة توحش البلقانيين ويخشون عصابات البلغار واليونان والصرب والجبل الاسود ان يفتكوا بهم وجنودهم الذين يلتذون باراقة الدماء.

لا انكر ان تقع اثناء المحاربات اضرار ومصائب شتى ولكن لم يذكر لنا التاريخ جنايات حربية كالتى حدثت فى الحرب البلقانيه . لم يسبق قطعياً ان جنوداً محاربين يختمون اعمال انتصارهم بالقتل والتشنيع بالاهالى الذين لا سلاح معهم ولم يشتركوا فى القتال واوروبا التى اعلنت فى البدء بانه لا بد من المحافظة على الحالة الحاضرة (استاتوكو) واجمة لا تظهر ادنى تحمس لاجل كف برابرة البلقان واهل صليب العصر الحاضر عن اعمالهم السافلة . ان القرون المظلمه تنظر الى القرن العشرين مستاءة ومتعجبة من تلك الهمجيه ومن رضا الملل التى تدعى شرف المدنية بذلك فالفجائع التى وقعت بهذه الحرب التى تسمى حرب الثلاثين يوما نظراً لقصر مدتها تجاوزت كثيراً الفجائع التى وقعت فى حرب الثلاثين سنه (الحرب المذهبيه) . ويمكننا ان نقول ان الاتراك المسلمين ما قتلوا فى الروملى الا لانهم مسلمون